

العرب في خراسان وبلاد ما وراء النهر في العصر الأموي

د . عبدالرحمن الفريخ *

تبحث هذه الدراسة في موضوع القبائل العربية في خراسان، وبلاد ما وراء النهر في العصر الأموي، بعد أن أصبحت القبائل وحدات مقاتلة في قوة الفتح العسكرية تسير براياتها تحت إمرة زعمائها في إطار القيادة العامة للجيش.

وحين استفادت الفتوحات من هذا التنظيم القبلي عسكرياً فقد ظل الفهم العميق للقبيلة، وفرسانها، ومشاهير قادتها ، وأفرادها مهما لمعرفة العسكرية الإسلامية والإحاطة بشؤونها مثلما النظام الاجتماعي مفيد في فهم القضايا الاقتصادية والسياسية المرتبطة بهذا النظام .

ولما كان هذا لازماً لدراسة التاريخ الحضاري فإن عملية توطين العرب بعد الفتح في الأمصار الجديدة قد تمت بحيث أخذ التخطيط شكل التنظيم القبلي فعرفت كل قبيلة، أو مجموعة من القبائل بخطة محددة معينة يرتبط الأفراد فيها برؤساء خططهم ويعرفون بها ، ويؤخذ الرؤساء أحياناً بجرائر أفرادهم .

* بكالوريوس قسم التاريخ من كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام ١٣٩٩ هـ .

- ماجستير قسم التاريخ من كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام ١٤٠٥ هـ .

- دكتوراه من جامعة أم القرى ١٤١٣ هـ .

- نائب رئيس النادي الأدبي في حائل ، ومدير إدارة المستشارين بأمانة منطقة حائل .

وبذلك أصبحت القبيلة تدور في فلك التنظيم الحكومي الإداري العام الذي يخضعها للتوطين في أماكن محددة ، ويخضع رؤساءها للعزل ، والتعيين من قبل الإدارة العليا .

وعلى هذا النحو من التنظيم الذي أحيطت به القبائل سار العرب إلى خراسان وبلاد ما وراء النهر فاتحين ، ومستقرين ، ونتج عن الفتح والتوطين إسهام كبير من القبائل في نشر الإسلام ، والتعريب اللغوي ، ودفع الآداب العربية المشبعة بالروح الإسلامية إلى آفاق بعيدة كل البعد عن صحراء العرب ، ومواطنهم الأولى . وانتشر الإسلام في خراسان وبلاد ما وراء النهر ، وتعربت تلك الأقاليم في فترة وجيزة ، وانتمى أهلها إلى القبائل العربية ولاء بالحلف وإلى الإسلام فكراً وعقيدة وانتمى العرب إلى الأمصار التي حلوا بها فحصل احتكاك مباشر بين العنصرين العربي والعجمي أدى إلى الانصهار في بوتقة الحضارة الإسلامية ، وأثمر علماً ، وأدباً وحاكى العرب أهل البلاد الأصليين في الملبس ، والمطعم ، وبنوا الدور والمساكن ، وأصبحوا ذوي أملاك زراعية يحرثونها ، ويجرون إليها الماء مع بقاء الأراضي الخراجية بوضعها الذي لا يؤثر في إسلام مالك الأرض ولا عدمه ، ولا كونه عربياً أو عجمياً ، وبقاء الإدارات المحلية ، وجباية الخراج بأيدي الدهاقين ، والمرازمة من العجم .

وبرز من العرب في خراسان وبلاد ما وراء النهر قادة ، وأمراء تولوا مناصب مهمة في العصر الأموي ، وظهر فيهم علماء ، وأدباء ، وشعراء في أماكن مختلفة متباعدة تبعاً لمواطن الاستقرار المتباينة بتباين الأمصار ، واختلاف التضاريس ، وانضوت الفروع الصغرى في المسميات الكبرى مع بقاء القبائل ذاتها مرتبطة بمسميات التخطيط الخماسي الذي كان صورة طبق الأصل لمخطط إنزال العرب في البصرة .

ومع أن النظام القبلي ، وما يتصل به من النسب ، والولاء للقبيلة يعد ركيزة أساسية في البنية الاجتماعية العربية ، فقد ظلت العصبية حيصة خافتة لا تحرك الحوادث السياسية، وإذا ظهرت فإنما تظهر في غياب الأمن ، وتستغل لرفد المصالح الشخصية، وتستفز لخدمة الفتن المذهبية، ونأى الولاة هناك بأنفسهم عنها، وتعرض من يثيرها منهم للمؤاخذه، مع أن إعراض الولاة عن تبني العصبية لم يمنع من استفادة بعض القبائل ونفوها في ظل الولاة المنسوين إليها.

وإذا كان هذا الموضوع ذا فائدة في فهم القضايا الفكرية ، والاقتصادية ، والسياسية ، وما يلحق بها من أنظمة عسكرية ، وإدارية في تلك الجهات إبان العصر المشار إليه فإن ما أثير من المطاعن والشكوك حول عدم القدرة على الحد من نفوذ القبيلة ، وعصبيتها الطاغية التي كانت - كما يرى البعض - هي الوجه الأول للحوادث السياسية ، وما أحيطت به علاقة العرب والعجم خلاله من افتراءات قد جعل دراسة هذا الموضوع دراسة تاريخية واعية ، وحضارية وافية مطلباً مهماً لكشف الزيف ، وتصحيح كثير من الحقائق المغلوطة .

ولأهمية بحث بعض الجوانب التاريخية ، والحضارية ، والتعرف على نواحي الحياة الفكرية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية فإن من متقنيات البحث عدم الاقتصار على تواريخ المشاهير من الحكام والولاة ، وتدوين آثارهم بل الغوص مع ذلك في أحوال الشعوب ، ومعرفة شؤون الحياة المعاشة ، وحوادثها ، ومؤثراتها لتكتسب الدراسة تنوعاً شمولياً يتمحور حول حياة القبائل العربية باعتبارها العنصر الجديد الذي أسهم في فتح خراسان ، ونشر الإسلام فيها ، واستقر في حواضرها ، وصبغها بالصبغة العربية ، وجعل مواطنه هناك مراكز للتعريب انتشرت منها اللغة إلى أقاليم عدة ، وقواعد

صلبة انطلقت منها الجيوش الفاتحة إلى بلاد ما وراء النهر إلى أن نتج عن ذلك إنشاء مراكز استقرار أخرى ، ومواطن تعريب جديدة .

ولما كنت قد أعددت بحثاً عن بني بكر بن وائل تتبعت فيه منازل هذه القبيلة جاهلية وإسلاماً ، وبحثت علاقتها بالعرب ، والفرس ، وانتشارها في صدر الإسلام في البلدان المفتوحة ، وموقفها من الحوادث السياسية فقد شدني هذا إلى تتبع رحلة القبائل العربية إلى خراسان وبلاد ما وراء النهر في العصر الأموي وفقاً للمحاور التالية : -

١ - التعرف على جغرافية خراسان وبلاد ما وراء النهر ، وحدودهما الإقليمية المتعارف عليها في عصر بني أمية ، وحدودهما الإدارية التي قد تتجاوز الحدود الإقليمية تبعاً لاتساع نفوذ الإدارة السياسية مع إلقاء الضوء على أهم المناطق الرئيسة في تلك البلاد ، ومواطن الاستقرار فيها ، وأهم النشاطات الاقتصادية هناك .

٢ - التعرف على السكان الأصليين ، والأصول التي ينحدرون منها ، والعلاقة العرقية التي تربط أهالي ما وراء جيحون بمن يعيشون دون هذا النهر الذي تعتبر أرضه المنطلق القديم للآريين ، والمنبت الأساسي لديانتهم المجوسية .

٣ - بحث علاقة العرب بخراسان وبلاد ما وراء النهر قبل الإسلام ، ونشاط التجارة الفارسية عبر أراضي شبه الجزيرة العربية ، واستيطان بعض القبائل العربية في أطراف الأراضي الفارسية الغربية ، واحتكاكهم الحربي بولاة الفرس ، وبالمناذرة اللخمين في الحيرة المواليين للأكاسرة الساسانيين .

٤ - فتح خراسان والأقوال التي قيلت فيه وقادته ، وأهم القبائل التي شاركت فيه وهي القبائل ذات الخطط الخماسية في البصرة ، تميم ، وبكر بن وائل ،

- وعبدالقيس، والأزد ، وأهل العالية ، والتعريف بهذه القبائل جاهلية وإسلاماً .
- ٥ - سياسة بني أمية في توطين العرب في خراسان وبلاد ما وراء النهر، ونظام الولاية ، والنهج الإداري الذي كانت تدار به خراسان ، وطريقة تعيين ولايتها ، وتبعيةها الإدارية منذ الفتح إلى قيام دولة بني أمية ، ثم في زمن الأسرة السفينانية (٤٠ - ٦٤هـ) وعلاقة خراسان بالبصرة في تلك الفترة ، وتوطين العرب هناك ، ودفع حركة الفتح شرقاً ، والاضطراب القبلي العنيف الذي شهدته الفترة من عام ٦٤ إلى عام ٧٣هـ وهي أيام عبدالله بن الزبير ، ونظام الولاية زمن الأسرة المروانية (٧٣ - ١٢٥هـ) ، ونظام الولاية زمن اضطراب الحكم الأموي بعد عهد هشام بن عبدالملك (١٢٥ - ١٣٢هـ) .
- ٦ - عدم إنشاء بني أمية مدناً خاصة بالعرب في خراسان وبلاد ما وراء النهر، ونزول العرب في الحاميات والمعسكرات خارج المدن ، ثم استقرارهم في مراكز الاستقرار القائمة واختلاطهم بالسكان من العجم خلافاً للطريقة التي اتبعت في العراق بالرغم من الاعتماد على نظام الاخماس القبلي المعروف في البصرة الذي اقتصر على التنظيم العسكري إلى أن تلاشى في أخريات عهد الأمويين.
- ٧ - توطين العرب وأثره في السياسة الأموية ، ودفع أفواج من العرب بأهاليهم لمساندة الولاية في خراسان ، وتثبيت دعائم السلطان هناك ، وما أدت إليه هذه الحركة من الاختلاط بالسكان ، والارتباط بالأرض ، وثمرة ذلك في تخطي مساحة تلك البلاد الشاسعة ، والانتقال إلى طور آخر من الحياة يغير الأعراف والتقاليد السائدة ، وتكامل العمليتين التوطينية والجهادية .
- ٨ - أهم مواطن استقرار العرب في خراسان وبلاد ما وراء النهر ووصف أرباع خراسان الشهيرة : نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ ، وبيان معالمها الطبيعية

ونشاطاتها الاقتصادية ، وأهم ما يتبعها من المدن والرساتيق ، وأهم الفروع التي سكنتها ورجالاتها البارزين ، ووصف منطقة الصَّغد التي تضم أكبر مدينتين استوطنهما العرب ببلاد ما وراء النهر وهما : بخارى وسمرقند .

٩ - الصراع القبلي في خُراسان وبلاد ما وراء النهر ، وموقف القبائل من الحوادث السياسية بدءاً بالحديث عن العصبية الألفة الجامعة المعتمدة على قرابة الدم والحلف ، والموالة ، والجوار ، والمؤاخاة قوام المجتمع القبلي ، وعماد نظامه السياسي والاجتماعي، وما تؤدي إليه من مفاخرات، ومنافرات، وما ينتج عنها من مفاضلة في الدماء ، والديات ألغاه الإسلام وجعل الثأر كزعامة القبيلة منوطاً بالدولة الإسلامية بدلاً من الوحدات الصغيرة المستندة إلى نظام القبيلة .

١٠ - موقف القبائل العربية في خُراسان من إمارة عبدالله بن الزبير ، وبيان حقيقة النزاع في تلك الحقبة وأنه لم يكن صراعاً قيسياً يمينياً كما سارت عليه كثير من الدراسات التي جعلت ذلك الصراع القبلي يوجه حوادث الأقاليم الإسلامية ، وأن اليمنية والقيسية لم تكونا بذات شأن يذكر في خُراسان آنذاك، وبيان صراع عبدالله بن خازم (٦٤ - ٧٣هـ) مع بكر بن وائل ثم مع قميم .

١١ - ولاية آل المهلب ثم ولاية قتيبة بن مسلم ، والنمو المتزايد للعصبية القبلية في مطلع القرن الثاني الهجري، وظهور مناوئين للحكم الأموي من اليمانية، والحركة الانشاقاقية التي قادها الحارث بن سُرُيج، ونشأة مذهب الإرجاء .

١٢ - الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والفكرية وعلاقة العرب بالعجم، والطريقة التي تم بها الصلح على الأراضي ، وبروز زعامات من سكان البلاد الأصليين كان لها أثر في مسير الحوادث ، وأهم الأعمال التي زاولها العرب هناك بعد ارتباطهم بالجنودية أولاً والبعد عن الاحتكاك المباشر بالحرف اليدوية ،

ثم النشاط الزراعي العربي الذي بدأ واضحاً في مطلع القرن الثاني الهجري ، واستقرار العرب في الدور التي أشرفت الدولة على تنظيمها .

١٣- الفتن المذهبية ، ونشأة بعض أفكار الديانات ، والعقائد القديمة ، وتزايد نمو مذهب الإرجاء واختلاطه بالجبرية والقدرية وتأثر كثير من العرب بهذه النزعات العقدية المستحدثة ، وظهور الدعوة لبنى العباس في رأس المائة الأولى الهجرية واعتمادها على العرب بصفة عامة ، واليمانية بصفة خاصة .

١٤- شعر العرب في خُراسان وبلاد ما وراء النهر منذ الفتح ، ومرافقة الشعر للفتوحات الأولى كمقطوعات أولى يرددها الفاتحون وإلى أن أصبحت تلك البلاد مصدراً لأشعار عربية كثيرة مرتبطة بالواقع السياسي الحربي ، والقبلي يشيد فيها الشعراء بالانتصارات ، ويتوجعون على الانكسارات ، ويصفون المعارك ، وفتح القلاع والحصون ، ويلتحمون مع بعضهم أحياناً في هجاء مقذع ، ونقائض مرة ، وأثر اللغة والأدب العربيين في تلك البلاد حيث تمكنت العربية من النفوس فتمثلها العجم وفقهوها حتى نبغ منهم شعراء كالعرب .

١٥- جهود العلماء العرب في خُراسان وبلاد ما وراء النهر في الدراسات الشرعية ونزول عدد من التابعين وتابعي التابعين هناك ، وما تميزت به أكثرية العلماء هناك من التعمق في الدين والتبحر في العربية ، ووجود عدد من المدارس الشرعية واللغوية في المدن الرئيسية هناك .

١٦- سياسة الولاة في تسيير حركة الفتح التي تختلف باختلاف الظروف والدواعي وطريقة كل وال في تسييرها ومدى تدخل والي العراق والخليفة في الشام في شؤون حملات الفتح ، وإسهام القبائل في خُراسان في فتوح ما وراء النهر ، واختصاص بعض القبائل في فتح بعض المناطق كتميم في بخارى ،

واليمن في طبرستان وجرجان ، وقيس في بعض فتوح أشرس السلمي ، وربيعة في بعض فتوح نصر بن سيار .

١ - بيئة خراسان وبلاد ما وراء النهر الجغرافية والنشاط الاقتصادي :

تمثل خراسان ^(١) جزءاً مهماً من البلاد الإسلامية في العصر الأموي ، وهي تشمل الأرض المحصورة بين نهر جيحون ^(٢) شمالاً وسجستان ، ورجال الهندوكوش الهندية جنوباً ^(٣) ، ويحدها من الغرب المفازة ^(٤) ، وقوهستان فاصلة بينها وبين إقليم فارس ، ومن الشرق صحراء الصين ^(٥) ، والبالير ^(٦) ، وسجستان ^(٧) ، ومن الشمال الغربي طبرستان ، وجرجان ، وخوارزم ^(٨) . ولا يمكن التوسع بأرض خراسان لتشمل بلاد ماوراء نهر جيحون ، وسجستان ، وطبرستان ، وجرجان إلا بالنظر إلى واقع الإدارة السياسي حيث يدير

(١) نقل البكري عن الجرجاني : إن "خر" تأتي بمعنى كل ، و"اسان" معناها سهل بلا تعب ، ونقل عن غيره : إن معنى خراسان بالفارسية : مطلع الشمس ، والعرب إذا ذكرت المشرق كله قالوا : فارس ، وخراسان من فارس . البكري ، ٤٩٠ .

(٢) جيحون وسيحون نهران مشهوران يعرفان الآن باسم أموداريا وسيرداريا ، وكان يطلق على الأول اسم أوكسس ، وعلى الثاني اسم جكزرتس . الأضطخري : المسالك والممالك ، ص ٢٨٥ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٧٧ .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٣١٣ .

(٤) المصدر السابق ، ٣٣٣ .

(٥) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ٤١٦ .

(٦) محمد البار : أفغانستان ، ٣٠ .

(٧) الأضطخري : المسالك والممالك ، ٢٤٠ ، وسجستان هي سيستان وسمتها المصادر العربية سجستان .

لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ٣٧٢ .

(٨) ابن حوقل : صورة الأرض ، ٢٦٩ ، المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٣٥٨ .

الوالي في أحيان كثيرة شؤون عدد من الأقاليم من مرو العاصمة الخراسانية ^(٩). ومع أن سجستان ، وطبرستان ، وبلاد ما وراء النهر وغيرها قد أديرت سياسياً من قبل عاصمة خراسان في عهد كثير من الولاة الأمويين ^(١٠) . فإن صلة بلاد ما وراء النهر بخراسان ظلت هي الأقوي وما ذاك إلا لكون أراضي هذين الإقليمين إنما هي امتداد لبعضها ، وبدون حاجز يذكر سوى نهر جيحون ، ولقاربة الدم التي تربط بين سكانيهما أيضاً ، ثم إن بلاد ما وراء النهر لم تدر كولاية مستقلة عن خراسان طوال العهد الأموي .

وينبع نهر جيحون المعروف حالياً باسم أموداريا من جبال البامير التي تُسمى سقف العالم في شمال شرق أفغانستان بالقرب من حدودها مع الصين وجمهوريةات التركستان ^(١١) ، ويتلقى تغذيته من ذوبان الثلوج في جبال الهندوكوش، ومن روافده التي تلتقي به في منطقة الخطل كنهر جرياب ، ووخش، وأنهار منطقتي نخشاب ، والبتم ^(١٢) .

ويسير نهر جيحون باتجاه الغرب إلى أن يصل إلى مدينة ترمذ فاصلاً بين خُراسان وبين بلاد ما وراء النهر ^(١٣) ويعرف الأهالي هناك نهر جيحون باسم

(٩) ذكر ياقوت : إن أعمال خوارزم ، وبلاد ما وراء النهر تعد في بعض الأقوال من خراسان لأنها كانت تابعة لوالي خراسان . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ٤٠٨ .

(١٠) قلما انفردت طبرستان بوال مستقل بينما حدث أن استقلت سجستان بوال خاص بها ، ومن ذلك أن الربيع بن زياد الحارثي كان أميراً عليها من قبل زياد بن أبيه ، ووليها بعده عبيدالله بن أبي بكر إلى أن مات زياد عام ٥٣ هـ ، ثم وليها عباد بن زياد إلى عام ٦١ هـ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ٣٨٥ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ٢٢ .

(١١) البار : أفغانستان ، ٣٥ .

(١٢) المصري : حاضر العالم الإسلامي ، ٤١٣ ، لسترنج ، ٤٧٦ .

(١٣) الأصبخري : المسالك والممالك ، ٢٨٧ . ويبلغ طول نهر جيحون حوالي ٢٢٤٠ كم منها ٩٦٠ كم في أفغانستان . البار : أفغانستان ، ٦٢ .

ماله، ومنها يتجه شمالاً فاصلاً أيضاً بين خراسان وبلاد ما وراء النهر ، بحيث تصبح ترمذ في جانبه الشرقي في أرض ما وراء النهر ، ويقابلها بلخ في الجانب الخراساني ^(١٤) .

ويلاحظ أن النهر يستبحر ماؤه في أرض ترمذ وبلخ بعد أن تنجلب إليه مياه عظيمة ، أما بعد ترمذ فإن مجراه يضيق ثم ينبسط عند زم ^(١٥) الواقعة على جانبه الغربي في مقابلة رمال غزيرة في الشرق تؤدي إلى نخشب ومن ثم إلى سمرقند في بلاد الشاش ^(١٦) .

ويستمر النهر في مسيره إلى آمل الخراسانية المقابلة لـ «فربر» ^(١٧) التي يؤدي طريقها إلى بخارى، وينتهي النهر إلى خوارزم في البحيرة المعروفة بالجرجانية ^(١٨) التي هي بحر «الآرال» الذي يصب فيه أيضاً نهر فرغانة، والشاش من بلاد ما وراء النهر ^(١٩) .

(١٤) المسعودي : التنبيه والأشرف ، ٧٢ . ويلاحظ أن نهر جيحون يفصل الآن بين أفغانستان جنوباً ، والتركستان الغربية شمالاً . المصري : حاضر العالم الإسلامي ، ٤٣١ .

(١٥) هي آمل زم ، وآمل جيحون ، وآمل الشط ، وآمل المفازة ، بينها وبين مرو رمال صعبة المسالك . ياقوت . معجم البلدان ، ج ١ ، ٧٥ .

(١٦) المسعودي : التنبيه والأشرف ، ٧٥ . المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٣٠٣ .

(١٧) بينها وبين ضفة نهر جيحون اليمنى نحو فرسخ ، وتوصف بكثرة أغابها . المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٢٩٠ .

(١٨) الجرجانية هي عاصمة خوارزم . البكري : معجم ما استعجم ، ٥١٥ .

(١٩) الأصبخري : المسالك والممالك ، ٣٠٤ . المسعودي : مروج الذهب ج ١ ، ١٠١ . ابن بطوطة : الرحلة ، ج ٣ ، ٧ .

أما روافد نهر جيحون في الأرض الخراسانية فأهمها: نهر هاري رود^(٢٠) ونهر الروذ^(٢١) ، وهذان النهران مع أنهار أخرى تميز الأرض الخراسانية . إضافة إلى كثرة المفاوز والجبال ، وذلك كالمفازة الفاصلة بين خراسان وفارس ، ومفازة آمل وزم ومفازة مرو وجبال الطالقان المتصلة بجبال الجوزجان في الشرق ، والجبال الواقعة شمال هراة ، ومنطقة الخطل التي تكاد تكون كلها جبلاً ، ومنطقة الغور^(٢٢) .

وأرض خراسان مقسمة إلى أربعة أقاليم تشمل الأولى: الجزء الغربي وهو إقليم نيسابور، أبرشهر^(٢٣) ، مدخل السائرين إلى خراسان من الغرب عبر الطبسين^(٢٤) . وكان لخراسان طريقان أحدهما : طريق الطبسين المعروف بطريق القوافل ، والثاني طريق البريد المار ب قومس الواقعة بين الري ونيسابور في ذيل جبل طبرستان^(٢٥) ، وهو إلى الجنوب من الطريق الأول^(٢٦) . وكلا الطريقين

(٢٠) يلتقي هاري رود برافده نهر مشهد التي هي طوس الخراسانية المقابلة لسرخس الواقعة شرق النهر في أرض التركمانستان ، وإلى رمال سرخس ينتهي النهر بالقرب من بيهق ، ونهر الروذ هو نهر المرغاب .

حسين مؤنس : الأطلس ، ١١٦ . البار ، أفغانستان ، ٣٨ .

(٢١) ابن حوقل : صورة الأرض

(٢٢) الأصبخري : المسالك والممالك ، ٢٥٣ .

(٢٣) تقع نيسابور في الجزء الشمالي الشرقي من إيران واسمها الآن أبرشهر . محمود شاعر ، إيران ، ١٠ .

(٢٤) طبس العناب ، وطبس التمر ، ويقال لهما : باب خراسان ، والطبس بالفتح بالعبية الأسود من كل شيء ، والطبس بالكسر الذئب . ياقوت ، ج٤ ، ٤١٤ .

(٢٥) طبرستان لا تدخل ضمن خراسان غير أن الأستاذ محمود شاعر عدها من الأراضي الخراسانية . محمود شاعر : خراسان ، ٧ .

(٢٦) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ٣١٨ .

ينتهيان إلى نيسابور، ومن نيسابور يتجه إلى مرو الشاهجان بعد أن يمر بسرخس ثم يتجه إلى ضفة نهر جيحون ليقع إلى آمل ثم إلى بلاد ما وراء النهر إلى أن يصل إلى الشاش وفرغانة، ويتجه طريق آخر من مرو الشاهجان إلى مرو الروذ فبلخ وطخارستان، ومن بلخ يمتد إلى بخارى وسمرقند من جهة كندك^(٢٧).

ويعمل أهل نيسابور بالزراعة، ويسقون مزارعهم من نهر شقوا له القنوات، إضافة إلى اشتغالهم بصناعة المنسوجات القطنية، والحريية حتى قيل: إنه ليس بخراسان مدينة أدوم تجارة، وأكثر سابلة، وأعظم قافلة من نيسابور^(٢٨).

أما المنطقة الثانية فهي الإقليم الشمالي، إقليم مرو^(٢٩) الذي يشتهر بالزراعة والرساتيق الكثيرة بالإضافة إلى صناعة الحرير والقطن والثياب^(٣٠). وإلى الشمال من هذا الإقليم تقع المنطقة الثالثة: منطقة هراة^(٣١) وعاصمتها هراة تقع على نهر يحمل اسمها^(٣٢)، ويخرج منها طريق إلى إقليم سجستان مخترقاً مدينة مالتق ذات العديد من القرى، وكورة^(٣٣) أسفزار ثم

(٢٧) ابن حوقل: صورة الأرض، ٣٣١.

(٢٨) ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ٣٣١.

(٢٩) مرو الشاهجان هي مرو الكبرى الشمالية وهي عاصمة خراسان ومرو الروذ مرو الصغرى إلى الجنوب منها، وتقع مرو في جمهورية التركمانستان، وقد نسى اسمها القديم وحل محله اسم بيرام علي.

ياقوت، ج ٥، ١١٦، المصري: حاضر العالم الإسلامي، ٥١٢.

(٣٠) الأصبخري: المسالك والممالك، ٣٦٠.

(٣١) تقع هراة في شمال غرب أفغانستان ولا تزال تعرف باسمها القديم. البار: أفغانستان، ٣٧.

(٣٢) الأصبخري: المسالك والممالك، ٢٢٦.

(٣٣) الكورة: الاستان، كل صقع يشتمل على عدة مدن وقرى.

كورة الباميان في آخر الطرف الجنوبي من خراسان ^(٣٤) .
وأخيراً فإن بلخ ^(٣٥) هي المنطقة الجغرافية الخراسانية الرابعة ، وأكبر
توابعها طخارستان ^(٣٦) وهي مقسومة إلى طخارستان العليا ، وطخارستان
السفلى ، والأولى هي الأبعد شرقاً ^(٣٧) .

وتشتمل طخارستان على عدد من المدن منها ، الطالقان ويتبعها : خلم ،
وسمينجان ، والجوزجان ، وتعرف عاصمة الجوزجان باسم الطالقان وتقع بأرض
سهلية ، وبينها وبين مرو الروذ . تقع مدينة ميمنة وكندروم في أرض
جبليّة ، وأصغر من هاتين المدينتين هناك مدينة الفارياب بين الطالقان
وشبورقان غرباً ^(٣٨) .

واشتهرت بلخ بكثرة خيراتها ، وعدت من أجل مدن خراسان بسعة الغلة
التي تحمل إلى الآفاق ، وبوفرة الصناعات المتعددة ^(٣٩) .

هذا وتعتبر سمرقند وبخارى من أعظم بلاد ما وراء النهر ^(٤٠) ، وإلى
أقصى الشرق منهما تقع ولاية سيحون (سيرداريا) في تخوم بلاد الترك ^(٤١) ،

(٣٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ٣١٩ .

(٣٥) بلخ هي : مزارى شريف الآن في شمال أفغانستان . البار : أفغانستان ، ٣٧ .

(٣٦) الأصطخري : المسالك والممالك ، ٢٧٩ .

(٣٧) طخارستان العليا في شرق بلخ بمحاذاة نهر جيحون والسفلى في جنوبها الشرقي . لسترنج ، ٢٦٩ .

(٣٨) الأصطخري : المسالك والممالك ، ٢٧٩ .

(٣٩) ياقوت ، ج ٢ ، ٥٠١ .

(٤٠) الأصطخري : المسالك والممالك ، ياقوت ، ج ١ ، ٤٠٥ . وتقع كل من سمرقند وبخارى في جمهورية

أوزبكستان في أرض التركستان الغربية . المصري : حاضر العالم الإسلامي . ٥٢٠ .

(٤١) الأصطخري : المسالك والممالك ، ٣٣٦ .

والشاش^(٤٢) ، وقبل هذه المنطقة وإلى الجنوب الغربي منها توجد فرغانة مدينة وكورة واسعة على يمين القاصد لبلاد الترك ليس وراءها في بلاد ما وراء النهر سوى كاشغر^(٤٣) .

وتعتبر طشقند (تاشكند) عاصمة لبلاد الشاش^(٤٤) ، ومن أعظم المدن فيما وراء النهر بعد بخارى وسمرقند . وبلاد الشاش جبلية يخرج منها الحديد، والنحاس، والذهب، ويوجد بها جبل حجارتة سود يحترق كما يحترق الفحم^(٤٥) .

وفما بين سمرقند ونهر سيحون توجد أشروسنة^(٤٦) التي تتوسط فرغانة شرقاً وسمرقند غرباً. والشاش شمالاً وشومان وواشجرد وكش والصغانيان جنوباً^(٤٧) .

وببلاد ما وراء النهر من أنزه الأقاليم وأخصبها ، وأكثرها خيراً ومياها ، ينقل منها القز ، والصوف ، والقطن إلى الآفاق بالإضافة إلى المسك والزعفران، وتوجد بها السناجب ، والثعالب ولذا فهي تشتهر بالفرو ، والأوبار^(٤٨) .

(٤٢) تقع الشاش على ضفة نهر سيحون الشمالية الشرقية . لسترنج ، ٥٢٣ .

(٤٣) المقدسي : ٢٧١ . وفرغانة تقع في جمهورية قيرغيزيا . المصري : حاضر العالم الإسلامي ، ٥٢٥ .

(٤٤) كان العرب يسمون تاشكند الشاش ويسمونها الفرس جاج . الأضطخري ، ٣٣٢ . ومعنى تاشكند مدينة الحجر . لسترنج ، ٥٢٥ .

(٤٥) ياقوت ، ج ٢ ، ٩٢ .

(٤٦) ويقال لها : بونجكت . الأضطخري : المسالك والممالك ، ٣٢٥ .

(٤٧) المقدسي ، ٢٧٧ ، ابن حوقل ، ٣٧٩ .

(٤٨) ياقوت ، ج ٥ ، ٤٥ .

٢ - السكان ، الأصول ، والمعتقدات :

وظلت بلاد ما وراء النهر تعرف بالترك سكاناً لها ، فالذين بالقرب من خراسان يقال لهم : الترك الغزية ، وأهل فرغانة الترك الخرجلية ، أما أهل الصغد فهم الترك الصغديون^(٤٩) .

ويفصل نهر جيحون بين هؤلاء الأقوام الناطقين بالفارسية ، وقد يطلق على الأولين اسم توران وعلى الآخرين اسم إيران^(٥٠) ، وفي تقسيم آخر يقال لمن وراء النهر الهياطلة^(٥١) نسبة إلى هيطل بن عالم ولمن دون النهر الخراسانيين نسبة إلى خراسان بن عالم^(٥٢) .

وأطلق أهل خراسان وبلاد ما وراء النهر على أنفسهم اسم الآريين في حوالي الألف الثالثة قبل الميلاد^(٥٣) بعد أن ظهر فيهم زرادشت صاحب الديانة الزرادشتية^(٥٤) الذي ناصره الملك كشتاسب^(٥٥) وشن هو ورجاله حرباً لا هوادة فيها على مخالفيهم في العقيدة .

(٤٩) وقيل : إنهم فئات فمنهم : الأسافل ، والأعالي ، والأواسط ، وإن الغزية من أشد الترك بأساً . المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ، ١٠١ .

(٥٠) الغزي : الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية ، ١٩ .

(٥١) أو الهيطل وهم : الأفلاطيون ، ويعرفون بالهون البيض . لسترنج ، ٤٧٦ .

(٥٢) ياقوت ، ج ٥ ، ٤٥ ، المقدسي ، ٢٦١ .

(٥٣) بدوي . القصة في الأدب الفارسي ، ٢٠ .

(٥٤) هو زرادشت بن يورشب أبوه من أذربيجان وأمه من الري وظهر في بلخ ، ولد في منتصف القرن

السابع قبل الميلاد . الشهرستاني : الملل والنحل ، ٢٣٧ ، بيرنيا : تاريخ إيران القديم ، ٣١٤ .

(٥٥) كشتاسب بن لهراس من الطبقة الثالثة من ملوك الفرس الأولى الكيانيين . المسعودي : التنبيه والأشراف ، ٩٥ .

وانخزل من الآريين شعبة اتجهت إلى الشرق عن طريق جبال الهندكوش ، ونزلت حوض السند ، ومنه اتجهت إلى شمال الدكن ، وجنوب بلاد الهملايا ، وخليج البنغال ، وبحر العرب ^(٥٦) ، أما من بقوا في آسيا الوسطى فقد كان مركزهم نهر جيحون أو النهر المقدس كما كانوا يسمونه ، وربما أطلقوا على موطنهم اسم اثيرينه ونجّه أي موطن الآريين ، وهو أقدم مهد للحضارة الإيرانية ^(٥٧) .

وقد توغل الآريون وبسطوا سلطانهم في بلاد أطلقوا عليها اسم أثريانا الذي تحور في البهلوية إلى آران ، وفي الفارسية الإسلامية إلى إيران ^(٥٨) ، وظلت خراسان جزءاً أساسياً في بلاد الإمبراطورية الفارسية الإيرانية ، أما اسم فارس فقد جاء من اسم الإقليم المجاور لخراسان من الغرب الذي هو موطن قورش ^(٥٩) مؤسس الإمبراطورية الهخامنشية ^(٦٠) ومهد الساسانية الذين أعادوا للفرس مجدهم ووحدتهم .

ويتكلم الإيرانيون بالفارسية القديمة، لغة الأبستاق ^(٦١) ، وقد تطورت هذه

(٥٦) بيرنيا ، ١٤ .

(٥٧) شيت خطاب : قادة فتح فارس . بدوي ، ٢١ .

(٥٨) سمي إقليم فارس بفارس بن طموث الذي ينسب إليه الفرس أو بفارس بن علم بن سام بن نوح . ياقوت ، ج ٤ ، ٢٢٦ .

(٥٩) قورش هو بادشاه فارس أي حاكم فارس المتوفي في عام ٥٢٩ ق.م. ينتمي إلى أسرة الهخامنشيين التي عرفت في حوالي عام ٧٣٠ ق.م . بيرنيا ، ٧١ .

(٦٠) هم الطبقة الخامسة من ملوك الفرس أولهم : أردشير بن بابك شاه ساسان الذي كان سادناً لبيت نار أقيم في اصطخر ، وأصبح ملكاً في عام ٢١٢م. المسعودي : مروج الذهب ٢٤٣ ، بيرنيا ، ٢٢١ .

(٦١) ويقال لها : الأوستا وهي التي صنف زرادشت بها كتابه ، والأبستاق تقابل السنسكريتية التي دون الهنود بها كتابهم المقدس "الودا" الشهرستاني ، ٢٣٩ . بدوي ، ٢٥ .

اللغة إلى البهلوية، فالبهلوية الساسانية وإلى أن تحولت إلى الفارسية الإسلامية (٦٢).
وذكر ياقوت : إن البهلوية هي كلام الملوك في مجالسهم منسوبة إلى فهلو
أو فهلة ، التي تضم عدداً من المدائن في قلب فارس ، وإن هناك عدداً من
اللغات كالحوزية والسيرانية ، والدرية ؛ والدرية هي : لغة أهل خراسان ،
وبلخ بالذات (٦٣) .

وكان الآريون يؤلهون الظواهر الطبيعية التي يعيشون تحت تأثيرها
فيتقربون إلى السماء الصافية ويعبدون النار والشمس والأرض والهواء والماء
والرعد والبرق ، وهي عندهم آلهة الخير التي يستعينون بها على الظلام والقحط
والجفاف وغيرها من الظواهر التي ينزلونها منزلة الشياطين ويعتقدون أنها أرواح
شريرة يجب لعنها (٦٤) .

واختصت السماء الصافية المحيطة بالعالم من بين معبودات هؤلاء القوم بنوع
من التعظيم انفردت به عما سواها (٦٥) ، وأحيطت السماء ، والأرباب الأخرى
بهالات من الأوهام، والأخيلة ، والأساطير ، وتم تصوير العالم على أنه مسرح
للصراع بين قوى الخير والشر (٦٦) .

وقد تمكنت هذه العقيدة من النفوس ، وهي في خراسان أشد تمكناً منها في

(٦٢) بدوي ، ٢٩ ، بيرنيا ، ٣٤٣ .

(٦٣) أضاف ياقوت : إن فهلو منسوبة إلى فهلوج بن فارس . ياقوت ، ج ٤ ، ٢٨١ .

(٦٤) بدوي ، ٢١ .

(٦٥) بيرنيا ، ٣١٦ .

(٦٦) بدوي ، ٢٣ .

بلاد ما وراء النهر ، بل إن التقاليد الدينية فيما وراء النهر قد ظلت في معظمها وثنية غير ذات جذور ^(٦٧) .

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن الزرادشتية لم تصبح ديناً رسمياً للدولة إلا أيام الساسانية ، وذلك على الرغم مما بذله كشتاسب في بلخ من محاولة لإرغام الناس على اعتناق هذا المذهب ^(٦٨) .

والذي يلاحظ هو أن الزرادشتية لم تزدد على أن تكون تجديداً في أصل الديانة المجوسية (الكيومرثية) بحيث كره زرادشت تعدد الآلهة ومن ثم نادى بأهوار مزدا أي الإله العالم بكل شيء ^(٦٩) ، وكانت المجوسية القديمة تقول بأن يزدان ، وهو النور المخلوق قد فكر تفكيراً رديئاً فظهر المخلوق الثاني وهو الظلمة التي ترمز للشر والفتنة ^(٧٠) .

وعلى هذا الأساس بينوا سبب خلاص النور من الظلمة وقالوا : بأن الامتزاج مبدأ والخلاص معاد ^(٧١) ، ومع ذلك فإن هناك من المجوس من زعم بأن النور والظلمة أزليان ويعرف هؤلاء بأصحاب العقيدة الثنوية ^(٧٢) ، التي أعقبها ظهور المانوية أيام

(٦٧) كان على خراسان وقت انتشار الإسلام في عهد عمر ا رستم فرخ هرمز قائد جيش الفرس في القادسية . شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية ، ٢٠٩ ، بيرنيا ، ٢٨٤ .

(٦٨) وبالرغم من أن الساسانيين نادوا بالزردشتية ديناً رسمياً للدولة فإنها لم تكن عقيدة للفرس كافة بسبب منازعة عدد من الديانات الأخرى لها .

(٦٩) الشهرستاني ، ٢٣٧ .

(٧٠) بين ظهور زرادشت والساسانيين زمن طويل إلا أنه لم يكن للفرس دين رسمي قبل بني ساسان . بيرنيا ٣١١ .

(٧١) الشهرستاني ، ٢٣٨ .

(٧٢) الشهرستاني ، ٢٤٥ .

الساسانيين ، والمانوية (٧٣) خليط من المجوسية والنصرانية (٧٤) ، وقد لقيت معاضدة في عهد سابور بن أردشير (٧٥) ، غير أن العهد الذي أعقبه شهد ظهور ديانة جديدة عرفت باسم المزدكية (٧٦) انتصر لها الملك الفارسي قباذ (٧٧) ، وحمل الناس على اعتناقها وأدى به الحماس لها إلى عزل المناذرة اللخمين عن إمارة الحيرة لما رفضوا اعتناقها (٧٨) .

ومع هذه الديانات التي عرفت بها الإمبراطورية الفارسية فقد نشأت فلسفة يونانية كان لها تأثير كبير في تكوين العقلية الإيرانية (٧٩) ، وتسربت البوذية إلى خراسان من الهند (٨٠) ، وكان لليهودية علاقة وثيقة بأرض الإمبراطورية الفارسية منذ أن انتصر قورش لليهود أثناء اصطدامهم بالبابليين (٨١) وعرفت المسيحية طريقها إلى فارس قبل الإسلام بحوالي خمسة قرون عن طريق الشام ، وآسيا الصغرى (٨٢) .

(٧٣) نسبة إلى ماني في زمن سابور بن أردشير .

(٧٤) المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ، ٢٤٩ .

(٧٥) يعرف بسابور الأول والعرب تقول له : سابور الجند . المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ، ٢٤٩ .

(٧٦) يطلق على مزدك لفظ الزنديق وهو من نيسابور . الشهرستاني : الملل والنحل ، ٢٥٠ ، بيرنيا ، ٢٥١ .

(٧٧) هو قباذ بن فيروز هرب إلى الهياطلة خوفاً من بطش الناقمين على مذهب مزدك ، وظل يؤمن به سراً .

المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ، ٢٦٣ ، بيرنيا ٢٥٢ .

(٧٨) ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ٧٨ .

(٧٩) وذلك بسبب التجاء طائفة من الحكماء البيزنطيين إلى أنوشروان بن قباد . بدوي ، ٣٤ .

(٨٠) ومن معابدهم المشهورة معبد النوبهار . المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ، ٢٣٨ ، بدوي ، ٢٣ .

(٨١) شيت خطاب : قادة فتح بلاد فارس ، ١٥ .

(٨٢) المرجع السابق ، ١٥ ، بيرنيا ، ٣٢٢ .

العرب في خراسان وبلاد ما وراء النهر في العصر الأموي

[٢]

الدكتور عبدالرحمن الفريح *

توطئة :

حين صدر العدد الأول من الدرعية كان موضوع العرب في خراسان وبلاد ما وراء النهر في العصر الأموي بمقدمته التاريخية يتوسط مجموعة من الدراسات العلمية ذات المستوى الرفيع في مختلف نواحي المعرفة .
والعرب في خراسان وبلاد ما وراء النهر دراسة لم تقف عند حد التدوين التاريخي المكثف لحوادث منطقة مهمة من أجزاء الخلافة الإسلامية في عهد بني أمية فقد كانت تطمح إلى أن يظفر القارئ منها بإطلاقة على التوجهات الفكرية في ضوء المفاهيم التي أنتجتها الأحزاب السياسية التي تحولت إلى مذاهب فكرية عقدية كان بعض منها صورة للأفكار الفلسفية القديمة والنزعات الدينية في الممالك القديمة وبخاصة الإمبراطورية الفارسية .

* بكالوريوس قسم التاريخ من كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام ١٣٩٩ هـ .

- ماجستير قسم التاريخ من كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام ١٤٠٥ هـ .

- دكتوراه من جامعة أم القرى ١٤١٣ هـ .

- يعمل الآن نائب رئيس النادي الأدبي في حائل ، ومدير إدارة المستشارين بأمانة منطقة حائل .

إضافة إلى أنَّ هذا الموضوع قد أفرد مساحة واسعة للأدب العربي والمباحث اللغوية في المحاضر الخراسانية وبلاد ما وراء النهر كمرو ، ونيسابور ، وبلخ وهراة ، وترمد ، وسمرقند ، وبلخ ، ونسا ، وبخارى .. مع ما اشتهرت به تلك البلدان من كونها مراكز للدراسات الإسلامية نشأ بها أئمة أعلام وفلاسفة عظام. وموضوع هذه الدراسة في أصله مخطوط لبحث لدرجة الدكتوراه غير أنَّه الآن في طريقة إلى أن يصبح كتاباً مطبوعاً بمقدمة علمية سامية كتبه بيده صاحب الدرعية الشيخ أبو عبدالرحمن محمد بن عمر ابن عقيل الظاهري بعد أن زكى الدراسة مقتنعاً بأن دار ابن حزم ستجني خيراً أديباً من وراء طباعة هذه المادة غير آبهة بأن من يتقدمون لنشر كتبهم ممن لا يحملون معهم تكاليف الطبع والنشر من أمثالي إنما هم في الحق الواضح عبء على دار لا بد أن يكون لها موارد مالية .

وفيما نشر من هذا الموضوع في العدد الأول من الدرعية أفضت بالتعريف بالدراسة من حيث أهمية معرفة التكوين العربي القديم الذي اعتمدت عليه حركة نشر الإسلام والانتشار خارج الجزيرة ، وتم اتخاذه أساساً لخطط التوطين في الأمصار الجديدة .. وكيف أنَّ هذا التكوين المعتمد على التوزيع القبلي قد أصبح وحدات مقاتلة في الجيوش .. وإنَّ الخلفاء وبخاصة عمر بن الخطاب رغبوا أن تتم السكنى العربية في الكوفة والبصرة على هذا الأساس لمصالح إدارية تنظيمية واقتصادية ، وسياسية ، وحرية عسكرية أيضاً ، وأنَّ البصرة قد أخذت شكل التنظيم الحماسي .. ويقصد بهذا المصطلح أن الخطط البصرية إنما هي خمسة إقطاعات بعدد القبائل التي تُم توطينها بها ، ومن هذه القبائل اثنتان من ربعة العدنانية هما : بكر بن وائل ، وعبدالقيس إضافة إلى بني

قيم ، والأزد ، وأهل العالية فهذه خمس كتل قبلية ظلت الخطط البصرية معروفة بها طوال عهد بني أمية .. ولما كانت البصرة هي قاعدة الانطلاق لفتوح خراسان وبلاد ما وراء النهر فقد اتخذ التوطين العربي في تلك البلاد الشرقية شكل التوطين في البصرة وظلت الأخماس البصرية قاعدة تم تطبيقها هناك لم يطرأ عليها تغيير إلا في أخريات العهد الأموي في زمن الاضطرابات بحيث أصبحت الأخماس أثلاثاً كبرى هي : مضر، وربيعة ، واليمن ، وهذه التكوينات الكبيرة استوعبت القبائل الخمس ذات الخطط البصرية .

ولم أشأ أن أثقل التقديم للموضوع الذي نشر في الدرعية بذكر كل مصدر ومرجع على عادة التوثيق والتدوين وآثرت أن يكون هذا في صلب الموضوع فانتقلت إلى التعريف بمنهجية البحث والتويب ، وتقسيم الدراسة إلى فصول وأقسام ثم أشرفت على خراسان وبلاد ما وراء النهر فدخلت إليها بلدانياً من أوسع أبوابها متنقلاً كتابياً بين الحواضر والأنهار والهضاب والوهاد .. ووقفت مع سكان تلك المناطق في زمنهم القديم بأجناسهم الهنداورية لغة وعقيدة وفلسفة اجتماعية ، وطفت حول نهرهم المقدس عندهم نهر جيحون وهم فرس فيما دونه وأتراك فيما وراءه .

كل هذا في المقدمة التي كنت أنوي أن أنتقل منها إلى زبدة المادة العلمية لولا أن عام المثوية مثوية تأسيس المملكة العربية السعودية كان عاماً مباركاً شملت أفضاله موضوع هذه الدراسة وكان عليّ أن أعود قليلاً إلى أرض جزيرة العرب المنطلق الأول لهم إلى خراسان وبلاد ما وراء النهر وغيرها من البلدان المفتوحة لأزيد الموضوع بحثاً وتنقيباً ثم بسطاً وعرضاً لأظفر باستقراء واستنتاج يكسبان مادته التاريخية والأدبية نتيجة علمية قيّمة .. أمّا مصادر خطط

البصرة ثم خطط البصرة وخُراسان ومراجعها فأهمها الطبري في كتابه تاريخ الأمم والملوك وما تبع ذلك من دراسات حديثة مثل: ماسنيون في كتابيه خطط البصرة وخطط الكوفة وشارل بلا في كتابه الجاحظ والدكتور شكري فيصل في كتابه المجتمعات الإسلامية وصالح العلي في كتابه امتداد العرب في صدر الإسلام .

بكر بن وائل :

أما العودة إلى أرض الجزيرة استقصاء وبحثاً فبسبب أن بكرًا الوائلية كانت سابقة عندي لموضوع العرب في خُراسان وبلاد ما وراء النهر ، وأثناء إعدادي لبحث بكر بن وائل في مرحلة الماجستير نشأت بيني وبين هذا البحث علاقة نفسية كما قال الدكتور أحمد إبراهيم الشريف أحد مناقشي الرسالة لطول ما مكثت في جمع مادته العلمية واستخلاص نتائجها قبل عرضها للمناقشة .. وقد دفعني هذا البحث إلى مواصلة متابعة الرحلة العربية إلى خُراسان وبلاد ما وراء النهر في عهد بني أمية .. وكانت بكر بن وائل جزءاً لا يتجزأ من العرب أصحاب الخطط هناك .. وفي عام الاحتفال بالثوية فإنّ بحثي المخطوط عن بني بكر بن وائل سيصبح بإذن الله كتاباً منشوراً بمقدمة للشيخ أبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري أيضاً .. ورأيت أن يكون موضوع هذه الحلقة من الدرعية خاصاً بأولئك القوم .

تعريف عام :

بكر هي إحدى القبائل العربية العدنانية ذات الشأن في الجاهلية والإسلام، ويرد في سلسلة نسب البكرين أنهم من بني بكر بن وائل بن قاسط^(١)،

(١) ابن أفضى بن دعي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان . انظر : المغربي :

الأيناس ، ص ٨١ .

وأنَّ عدداً من القبائل تشاركهم في النسب الربعي وذلك كتغلب^(١) ، والنمر^(٢) ،
وعبدالقيس^(٣) ، وعنزة^(٤) .

ولبكر عدد من البطون والأفخاذ ، ويوجد في بطونها من استقل بنسبه
الخاص وعُرف به ، وأقرب الأمثلة على ذلك بنو حنيفة في اليمامة ، ومن أجل
هذا صُنفت قبيلة بكر فيمن يطلق عليها لفظ الجماجم من القبائل العربية^(٥) .

وأبرز بطون بكر : بنو يشكر^(٦) الذين ينتمى إليهم الحارث بن حلزة ،
شاعر بكر في الجاهلية المقدم ، ولسانها الناطق في مجال المفاخرات^(٧) ، وأمير بن
أحمر أمير خراسان في عهد بني أمية ، والشاعر أبو جلدة اليشكري^(٨) ، وبنون
صعب بن علي الذين ينقسمون إلى : مالك ، ولجيم ، وعُكَّابة^(٩) ، فمالك ينتسب

(١) تغلب بنت وائل الغلباء من أشهر بطونها : أوس ، وغنم ، وعمران ومن ديارهم في عصر بني أمية
الجزيرة الفراتية بجهات سنجار ونصيبين ، وكانت النصرانية غالبة عليهم لمجاورة الروم . انظر
القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ١٨٧ .

(٢) النمر بن قاسط بن أفصى بن دهمي بن جديلة بن أسد ، منهم صهيب الرومي الصحابي رضي الله عنه ، انظر
ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٠٨ .

(٣) قبيلة كبيرة سيأتي الحديث عنها في الصفحات التالية من البحث . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب
العرب ، ص ٣٠٥ .

(٤) هي أقل القبائل الربعية في الجاهلية وصدر الإسلام وعصر بني أمية عدداً . انظر ابن الكلبي : جمهرة
النسب ، ص ٣١٥ .

(٥) انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٦٠٤ .

(٦) يشكر : يفعل من الشكر ، والشكير ما نبت من العشب تحت ما هو اغلظ منه انظر ابن دريد :
الاشتقاق ، ص ٣٣٩ .

(٧) شاعر جاهلي من أصحاب المعلقة كان أثيراً عند عمرو بن هند ملك الحيرة انظر ابن سعيد : نشوة
الطرب ، ص ٣٣٦ . ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ١١٦ .

(٨) كان أبو جلدة بهاجي زياداً الأعجم في خراسان وسيأتي الحديث عنه ، وانظر ابن قتيبة : الشعر ، ص ٤٩٤ .

(٩) العُكَّابة هو : الدخان . انظر ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٣٤٩ .

إليه : بنو زَمَّان ، أما لجيم فله من الولد ، عجل ، وحنيفة ، والحنفيون هم : عامر ، وعدّي ، والدَّول^(١) .. في حين أنَّ عُكَّابة أنجب ثعلبة ، الذي تنتمي إليه مجموعة كبيرة من الأفخاذ البكرية أولها شيبان ، ومن نسله ذهل جد أبناء مُرة ، الذين أصبح كل واحد منهم جد عشيرة^(٢) ، وانتشر بعضهم في خراسان ، وتيم بن شيبان ، وثلعة ، وعوف^(٣) .

وثانيها ذهل الذي تنتمي إليه كل من ، سدوس ، ومازن ، وثالثها قيس بن ثعلبة الذي انحدر منه مالك ، وجَحْدَر ، وعبَّاد ، وسعد ، ورابعها تيم الله بن ثعلبة^(٤) .

ومن أشهر من عرفته أرض خراسان من بني بكر : الرِّقَاشِيَّون^(٥) ، وهم من بني ذهل بن ثعلبة بن عُكَّابة ، كان رائدهم في عصر بني أمية الحُضَيْن بن المنذر ، وابنه يحيى بن الحُضَيْن ، الذي قتل في خراسان ، والحُضَيْن بن يحيى بن الحُضَيْن قتيل خراسان أيضاً^(٦) .

وكذلك بنو عائش بن مالك بن تيم الله ، عشيرة أوس بن ثعلبة ، الذي

(١) انظر السويدي : سبائك الذهب ، ص ٥١ ، ٥٧ .

(٢) أبناء مُرة بن ذهل هم : هَمَام ، وجساس ، ونُضْلَة ، ودُب ، وكسر ، وُجَيْر ، وجُنْدَب ، وشُرَاحِيل ، والحارث ، كما أن مرة أخ هو مُحَكَّم ، ومن نسل هَمَام آل ذي الجدين من البيوتات العربية الشهيرة وفيهم قيس بن مسعود وابنه بسطام الفارس الشهير . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٠٩ .

(٣) انظر ابن الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٥٠٨ .

(٤) انظر السويدي : سبائك الذهب ، ص ٥٣ .

(٥) وهم ملكان وزيد بن مناة بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة ، ورقاش امرأة من بني ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة ، انظر القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب ، ص ٢٥٦ ، وابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٦٣٧ .

(٦) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣١٧ ، وسيأتي التعريف بالحُضَيْن وأبنائه والحديث عنهم مفصلاً .

تولّى بعض خراسان وقتل بنواحي هراة ، وهؤلاء من بني تيم الله بن ثعلبة بن عكابة ، وآل مرثد من بني قيس بن ثعلبة الذين قاموا بأمر بكر بن وائل في خراسان أيام حربها مع ابن خازم في عام ٦٤ هـ^(١) .

وفي وقت مبكر بالنسبة لنزوح العدنانيين في الجاهلية من أرض تهامة والحجاز ظهر بنو بكر إلى أرض نجد . وعلى أثر حرب جرت بين عبدالقيس الربعية وبني النمر بن قاسط ارتحلت عبدالقيس إلى البحرين فتبعته بكر التي استقرت في ظواهر نجد مما يلي الحجاز ، ومعها أبناء عمومتها التغلبيون^(٢) .

وفي عالية نجد^(٣) دارت بين ابني وائل - بكر وتغلب - الحرب الضروس ، المعروفة باسم حرب البسوس^(٤) التي على إثرها انتشرت فروع فيما بين اليمامة والبحرين ، ثم ساحل كاظمة^(٥) إلى تخوم سواد العراق بين الأبلّة إلى هيت^(٦) ، وقطنت دجلة في المنطقة المعروفة باسمهم وهي ما غرب من دجلة من بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة ، غير أن بني حنيفة من بكر لم يشاركوا بني قومهم في نزول العالية واستيطان المناطق المشار إليها بعد حرب البسوس إذ

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٣٣١ ، وابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣١٨ .

(٢) انظر البكري : معجم ما استعجم ، ص ٨١ .

(٣) العالية اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمايها إلى تهامة . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ص ٣٢٢ .

(٤) دارت رحى هذه الحرب في عالية نجد بين بكر وتغلب ابني وائل وسببها قيام جساس بن مرة البكري بقتل كليب بن ربيعة الزعيم التغلبي الوائلي الكبير ، والبسوس هي خالة جساس من بني مُنْقَذ ابن سعد بن قيس ، وكان كليب قد قتل ناقة جارها . انظر ابن الأثير : الكامل ج ١ ، ص ١٣٣ ، وابن عديريه : العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ٩٧ .

(٥) يحدد مكانها البكري بما رواه عن الأصمعي فيقول : تخرج من البصرة فتسير إلى كاظمة ثلاثاً وهي طريق المنكدر . انظر البكري : معجم ما استعجم ، ص ١١٠٩ .

(٦) الهيت (الهوة) وهي تقع على شاطئ الفرات في هوة . انظر البكري : معجم ما استعجم ، ص ١٣٥٧ .

أنهم خرجوا من الحجاز مباشرة إلى اليمامة في الموطن التي كانت تسكنها طسم وجديس ، القبيلتان البائدتان ^(١) .

ولبكر أثر واضح في الحروب الجاهلية إلى جانب أختها تغلب، كما في يوم خزاز ^(٢) ، وبمفردها كما في أيام كثيرة سيأتي الحديث عنها، ولم يمض وقت طويل على بكر وتغلب في أرض العالية حتى فرقت بينهما حرب البسوس وأصبحت بكر بعدها أكثر احتكاكاً بالقبائل في شمال الجزيرة العربية وبملوك الحيرة والفرس . وتعود علاقة بكر بن وائل بالفرس إلى عهد الملك سابور ذي الأكتاف ^(٣) حيث أوقع هذا الملك بالعرب في سواد العراق ، والبحرين ومن بينهم البكريون ، الذي قتل عدداً منهم ، وأسكنهم أبان ^(٤) .

وحينما عزل قباد - خليفة سابور - المنذر بن ماء السماء عن الحيرة لعدم قبوله اعتناق المجوسية طلب من عامله الجديد الحارث بن عمرو ابن آكل

- (١) انظر ابن خلدون : العبر ، ص ٣٠٢ ، والدينوري : الأخبار الطوال ، ص ١٧ .
- (٢) وفي هذا اليوم المعروف بخزاز فض كليب بقومه جموع اليمن وخزاز جبل بازاء حمى ضرية بواد يقال له منعج من بلاد بني أسد انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٤٦ ، وهو إلى الجنوب من الرس المدينة المعروفة في القصيم بالسعودية . انظر محمد العبودي : معجم القصيم ، ص ٨٨٩ .
- (٣) أحد ملوك بني ساسان وهو الحادي عشر منهم ، ملك خمس سنين وأربعة أشهر . انظر المسعودي :
- التنبية والإشراف ، ص ١٠٤ .
- (٤) تقع "أبان" في الأهواز ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ١ ، ص ٥٧ ، المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ .
- (٥) المنذر بن امرئ القيس بن النعمان التنوخي ويقال له المنذر بن ماء السماء من ملوك الحيرة وكان ملكه تسعاً وأربعين سنة ، قتله الحارث الأعرج الغساني ، وماء السماء هي أمه مارية بنت ربيعة أخت كليب ومهلل التغلبيين الوائلين . انظر ابن سعيد ، نشوة الطرب ، ص ٢٧٦ .. والحارث هو : الحارث المقصور بن عمرو بن حجر آكل المرار من بني معاوية من كندة الكهلانية القحطانية البمانية منهم امرؤ القيس الشاعر الجاهلي وبنو الأشعث المشهورون في صدر الإسلام ، وعصر بني أمية . انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٢٤٥ .

المرار^(٥) الذي قبل المجوسية على المذهب المزدكي أن يكف بكر بن وائل عن أرض فارس^(١) ، ومع هذا قد حصل البكريون من كسرى أبرويز على اقطاعات تمثلت في منحه لقيس بن مسعود الشيباني أراضي الأبلّة^(٢) ، وماجاورها . وفي عهد هذا الملك نشبت معركة ذي قار بين بكر والفارس ، ويلاحظ أن علاقة بكر بفارس قد نتج عنها اعتناق بعض البكرين للمجوسية في الجاهلية وإن كان غالبيتهم وثنيين ، وذوي أصنام معروفة^(٣) .

ووجد في بني بكر بن وائل عدد من أشهر الجاهليين في الفروسية والكرم ، والجود ، كقيس بن مسعود ، وابنه بسطام^(٤) ، والحارث بن عباد^(٥) ، وهمام بن

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج١ ، ص ٤٠٣ .

(٢) الأبلّة هي موقع مدينة البصرة أو هي قرية من الخريبة في البصرة الحالية على الشط في زاوية الخليج وفيها مسالح لكسرى . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٣ ، ص ٣٤٣ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ن ص ٧٦ .

(٣) وقيل : إن المجوسية لم يعتنقها سوى ابن الحارث بن عمر الكندي وبعض آل زرارة من تميم بسبب علاقتهم بملوك فارس ، وقد رد بعض الباحثين على اعتناق تميم للمجوسية وانكره ، أما أصنام بكر بن وائل فأشهرها ، المحرق ، وأوال ، وعوض ، وذو الكعبين وقيل : إن بطوناً بكريّة قد شهرت بالنصرانية وذلك كحنيفة ، وعجل ، انظر عما تقدم ابن الكلبي : الأصنام ، ص ٦ ، ٧ ، والنويري : نهاية الأرب ، ج ١٨ ، ٧٢ ، وياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٧٤ ، والمعيني : شعر بني تميم في العصر الجاهلي ، ص ٩ .

(٤) وهم آل ذي الجدين ، من الجد وهو الحظ ، وقد مات قيس في سجن كسرى ، وعرف عن ابنه بسطام أنه واحد من ثلاثة اتفق العرب على أنهم أشهر فرسان الجاهلية وهؤلاء الثلاثة هم : بسطام ابن قيس وعامر بن الطفيل من بني عامر بن صعصعة ، وعُتَيْبَةُ بن الحارث من تميم . انظر ابن الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٥ .

(٥) هو الحارث بن عباد الضُبَيْعِي من بني قيس بن ثعلبة ويقال له : فارس النعامة جاهلي شهير اعتزل حرب البسوس في أيامها الأولى وقاد بكر في موقعة (قضة) تحلاق اللّم بعد أن قتل مهلهل ابنه بُجَيْراً . انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ص ٦٠٤ .

مرة ، وأخوه جساس ، والحوُفزان بن شريك^(١) ، وبرز في البكرين عدد من فحول الشعراء ، كطرفة بن العبد ، أحد أصحاب المعلقات^(٢) ، والأعشى ، وهما من بني قيس بن ثعلبة ، التي ينتمي إليها أيضاً الشاعر المرقش الأكبر ، والرقش الأصغر^(٣) ، ومن غير بني قيس بن ثعلبة هناك المنخل البشكري^(٤) ، والفند الزماني^(٥) .

وفي السنة التي أوفد فيها النبي عليه الصلاة والسلام الرسل إلى الملوك ، كان العلاء بن الحضرمي هو داعي أهل البحرين ومن بينهم بنو بكر بنو وائل إلى الإسلام ، كما كان الرسول عليه السلام قد وجه رسالة خاصة لهوذة بن علي الحنفي البكري في الإمامة^(٦) ، وفي هذه الأثناء كان النزاع على أشده بين بكر وقيم في أطراف العراق حتى صار لا يلقى بكر تقيماً إلا قتله ولا يلقى تقيماً بكرياً إلا قتله^(٧) .

(١) والده شريك بن مطر من أكابر الناس عند المنذر وكذا كان هو ، والحوفزان لقب غلب عليه حين حفزه قيس بن عاصم بالرمح في وركه يوم جدود وإلا فإن اسمه هو الحارث ومن ذريته معن ابن زائدة . انظر ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٣٥٨ ، وابن الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٥١١ .

(٢) من أهل البحرين قتله عمرو بن هند وهو ابن ست وعشرين سنة . انظر ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ١٩٦٩م ، ج ١ ، ص ٤٠ .

(٣) لقب المرقش جاء من قول المرقش الأكبر :

الدار قفر والرسوم كما
رقش في ظهر الأديم قلم

انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٢١٦ ، ٢٢٠ ، واسم الأكبر عوف ، والأصغر عمرو .

(٤) هو المنخل بن مسعود بن عامر بن ربيعة . انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٤١١ .

(٥) هو شهل بن شيبان بن مالك من بني زُمان . انظر ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٣٤٤ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢ ، ص ٦٤٤ ، وابن سعد : الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٥٨ .

(٧) كان البكريون في صراع مع جيرانهم بني تميم حتى السنة التاسعة للهجرة ، التي كانت فيها وقعة الشيطان التي أسلم على أثرها القوم انظر ابن الأثير : الكامل : ج ١ ، ص ٣٧٣ ، ابن عبد ربه :

العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ٩٧ .

وقد أسلم بعض البكرين في السنوات الأولى من الإسلام، ووفد عدد منهم إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، وفُرات بن حيّان^(١) ، وشارك بكريون آخرون في قمع الردة^(٢) وكان منهم طلائع الفتح الإسلامي في مناطق مختلفة في أرض العراق، واشتهر في ذلك المثني بن حارثة الشيباني^(٣)، وقطبة بن قتادة السدوسي^(٤) ، وقد جرّأ هذان بقومهما المسلمين على مهاجمة الفرس وقاما بما يمكن أن يسمى تمهيداً لفتح العراق ، بل والمشرق كله .

وفي عام ٢٠هـ أسند عمر بن الخطاب مهمة قمع التمرد في الأهواز إلى عدد من الأشخاص من بينهم مَجْزَأة بن ثور ، زعيم بكري ، واشترك فرسان بكريون ، كالنسير بن ديسم^(٥) ، وعتيبة بن النّهاس العجليين^(٦) في فتوح

(١) أمّا فُرات فهو فُرات بن حيّان بن ثعلبة بن عبد العزى من بني عجل . انظر ابن سعد : الطبقات ، ج ٥ ، ص ٥٥ ، ج ٦ ، ص ٤٠ ، ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٣٤٦ .

(٢) وظهر في بني بكر عدد من المرتدين كمسيلمة الذي ادعى النبوة باليمامة ، وكمرتدة بني قيس ابن ثعلبة بقيادة الحُطَم بن ضُبَيْعة في البحرين . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ص ٢٤٢ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٩٤ .

(٣) أسلم المثني سنة ٩ وهو أول من غزا بلاد فارس في أيام أبي بكر قبل قدوم خالد بن الوليد ، واستشهد عام ١٤ هـ . انظر ابن حجر : الإصابة ، ١٣٩ .

(٤) شجاع من القادة مات سنة ١٤ هـ . انظر ابن خياط : الطبقات ، ص ١٤٧ .

(٥) مجزأة بن ثور بن غُفَيْر السدوسي البكري ، وينسب إليه الفضل في فتح "تستر" حيث دخل عليها مع موضع فيه ماء فاجتازه وهو يجو ، وينبطح على بطنه أحياناً . انظر ابن خياط : تاريخ خليفة ابن خياط ، ص ١٤٢ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٠٩ . والنسير هو : النسير بن ديسم بن ثور بن عريجة بن مُلَحَم بن هلال العجلي ، أدرك النبي ﷺ ، وشهد القادسية ، وإليه تنسب قلعة النسير بقرب "نھاوند" وكان معه في نهاوند قومه عجل وحنيفة . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ١٤٦ .

(٦) هو عبدل بن حنظلة (النّهاس) من كبار العجليين ، ومن الكماة الشجعان . انظر ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٣٤٦ ، وابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٠٧ .

"نهاوند" و"الري" ، وكان الحارث بن حسان الذُهلي في طليعة جيش الأحنف إلى (مرو) كما كان هو المكلف بأمر سرخس ^(١) .

وحين استقر الفاتحون في البلاد المفتوحة نزلت غالبية بكر في أرض العراق وفارس وخراسان ولما كانت علاقة بكر بأرض البصرة ترجع إلى ما قبل العهد الإسلامي كان من الطبيعي أن يستوطنوها بعد الإسلام ، ويكونوا من مؤسسيها الحقيقيين شأنهم في ذلك شأن تميم ، والأزد .

ونزل البكريون - وهم يشكلون أحد الأخماس البصرية - في القسم الأوسط من الجهة الشمالية الشرقية من البصرة ^(٢) ، وتزعمهم فيها بيت من البيوتات البكرية العريقة ، وهو بيت المسامعة ^(٣) ، وكان لهم من الأملاك باطنة، المحيطة بجامع البصرة ، والزابوقة . ويشارك المسامعة في الزعامة بنو سدوس ، ولهم من الأملاك الخريبة ^(٤) .

وتولّى بنو شيبان من بكر حراسة القوافل من البصرة إلى مكة ومن البصرة إلى خراسان ، ولهم نصيب في خمس بني قومهم في البصرة ، كما أن لبني يشكر نصيباً آخرًا ^(٥) .

(١) الحارث بن حسان الذُهلي البكري من القادة الشجعان كان من وفد بكر على النبي ﷺ قُتل في يوم الجمل وكان يحمل راية بكر مع علي . انظر . ابن حجر : الإصابة ، ج ١ ، ص ٢٩٠ .

(٢) تقع البصرة بين البصرة الحالية والزبير وتبعد عن البصرة بمقدار خمسة وعشرين كيلا في الجهة الجنوبية الغربية وتشمل كل من البطينة ، والحدان ، وهداد ، والزابوقة ، والسبخة .

(٣) وأشهر المسامعة هو : مالك بن مُسمع أبو غسان من بني قيس بن ثعلبة ، مقدم رئيس يطمح دائماً إلى الولاية ولم ينلها مات في عام ٧٣ هـ . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٣٠٧ ، وابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ١٧٤ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ص ٥٩٣ ، والزابوقة تعني المحل المقشور أو الملجأ انظر البكري : معجم ما استعجم ، ج ٢ ، ص ٦٩١ .

(٥) ومن زعماء يشكر الذين استوطنوا البصرة ، عبّاد بن شرحبيل البشكري ، انظر ابن سعد ، الطبقات ، ج ٧ ، ص ٥٤ .

وكان البكريون يسيرون إلى فتوح فارس وخراسان من محلتهم في البصرة على اعتبار أن البصرة هي القائمة بمهمة الفتح ، ثم يعودون إلى محلتهم ، قبل أن تتم عملية الاستيطان في خراسان والبلاد المجاورة لها .

والذي يلاحظ هو أن بني تميم، وهم أصحاب الوقائع مع بكر قبل الإسلام، كانوا يمثلون نسبة مرتفعة من سكان البصرة حتى قيل : إن بني تميم هم : مؤسسة البصرة الحقيقيون ، وإن الطبقة الفكرية والدينية في عصر البصرة الأول هي في غالبيتها تيممية لذا فإن بكراً - وفي عهد الفتن القبلية في البصرة قد اضطرت إلى عقد أو تجديد تحالفها مع اليمن ^(١) .

ومهما يكن من أمر فإن البصرة قد عرفت بالقبيلتين معاً فهما أول وأشهر من سكنها ، إضافة إلى علاقتهما بهما من قبل وإذا كانت الأزد تنافسهما فإن الذي تميزتا به هو السبق، إذ أن الأزد لم يكتمل نزولها إلا في عهد متأخر ^(٢) .

وكما أريد من البصرة أن تكون مجمعاً للجيش العربية لفتح الأقاليم الشرقية ومن بينها خراسان ، وأسكنت فيها القبائل مع مراعاة الاعتبارات الحربية في توزيع المقاتلة . أريد من الكوفة ^(٣) ، وقد قسم جندها إلى أعشار

(١) ويُعرف هذا الحلف باسم حلف ربيعة واليمن وأبرز قبيلتين فيه بكر والأزد ، وهو من أشهر المحالفات القبلية التي شهدتها العصر الأموي وأشارت المصادر إلى كتابين كتب في توثيق هذا الحلف وتوكيده . وقد امتد أثر هذا الحلف إلى خراسان في ولاية المهلب بن أبي صفرة عليها (٧٨ - ٨٢ هـ) .

انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ، ص ٣٩٦ ، ج ٥ ، ص ١٦٢ ، والبلاذري : أنساب الأشراف ، ١٠٥/٤ ، والدينوري : الأخبار الطوال ، ج ١ ، ص ٣٥٢ .

(٢) انظر البلاذري : أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٢٥٩ .

(٣) قيل في سبب تسميتها بالكوفة : أنه من التكويف وهو الاجتماع وقيل : أن المواضع المستديرة من الرمل تسمى كوفاني ، وبعضهم يسمى الأرض التي فيها الحصاء مع الطين والرمل كوفة ، انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٧٤ وقد تم بناء الكوفة في عام ١٧ هـ واشترك في أسباعها عدد كبير من القبائل اليمنية القحطانية بالإضافة إلى قبائل نزارية عدنانية . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ص ٤٨ .

أول الأمر ، وروعي في توزيع الأعشار المبدأ القبلي فكل قبيلة أو مجموعة من القبائل التي ترجع إلى أصل واحد تؤلف عشرا ، وكانت بكر من بين القبائل التي صار لها حظ في الكوفة ، وحين تحولت أعشار الكوفة إلى أسباع تغير نظام بكر تبعاً لهذا التغيير غير أنها لم تنفرد بسبع واحد كما تفردت بخمس في البصرة حيث شاركها في سبعها قبائل من ربيعة كتغلب ، وأخرى من مُضر كبنّي أسد ، وغطفان ، ولما أجرى تعديل على أسباع الكوفة وأصبحت أربع مناطق دخلت جميع قبائل ربيعة في نصيب بكر بالأضافة إلى قبيلة كندة اليمانية ^(١) .

وإذا كان قد قيل عن الكوفة : إنها تضم صفوة الأرسقراطية العربية ، وبيوت الشرف المعروفة منذ الجاهلية فإن بيتاً من هذه البيوت ينتمي إلى بكر بن وائل ^(٢) ، وكما اختصت بكر بأماكن معروفة وقصور ومقابر في البصرة كان لها أيضاً مثلها في الكوفة وأشهرها دار أسعد بن همام من آل ذي الجدين ، الذين استوطن عدد منهم في خراسان ^(٣) .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٤٨ .

(٢) البيت البكري هو بيت آل ذي الجدين الشيبانيين وهو يتم مع بيت آل زُرارة من دارم من تميم ، وآل حذيفة بن بدر بن فزارة من غطفان من قيس عيلان ، وآل الأشعث من كندة من اليمن ما قيل : إن هذه البيوتات هي أشهر البيوت عند العرب وقد ذكر في ذلك قصة مفادها أن كسرى قال للنعمان بن المنذر : هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة ؟ قال : بأي شيء ؟ قال : من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ثم اتصل ذلك بكمال الرابع ، والبيت من قبيلته فيه فطلب ذلك فلم يصب إلا في البيوت الأربعة المذكورة . انظر ابن رشيقي القيرواني : في محاسن الشعر وأدبه ، بيروت ، ١٩٧٢ م ، ١٨٣ ، ١٩١ ، ٢٢٢ .

(٣) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٣٢٦ ، وابن عبدربه : العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٢٧٨ .

وفي زمن الخليفة عثمان بن عفان قام والي الشام معاوية بن أبي سفيان بترتيب أمر نزول ربيعة في الديار المعروفة باسمها في الجزيرة الفراتية ^(١) . ومن المعروف أنَّ خراسان قد تم فتحها من قبل المسلمين عقب تثبيت أقدامهم فيها أواخر عهد عمر بن الخطاب وفي زمن عثمان غير أنه لا يوجد ذكر لنزول العرب في خراسان إلا في وقت متأخر عن ذلك، والمصادر عادة تكتفي بالإشارة إلى أنَّ الفاتحين إنما هم من أهل البصرة وأحياناً من أهل الكوفة ^(٢) دونما تفصيل أو إشارة إلى ذكر الاستيطان ، والذي عليه غالبية الآراء هو سبب عدم استقرار الفاتحين في خراسان يرجع إلى عدم السيطرة عليها تماماً في البداية إذ أن بعضها افتتح بشكل مؤقت حين يعقد بين الطرفين صلح غالباً ما يؤدي إلى العصيان هذا بالإضافة إلى أنَّ الدولة هي التي ترتب عملية الاستيطان وهي التي لم تكن راغبة وبخاصة في زمن عمر باختلاط الفاتحين العرب بغيرهم من الأجناس الأخرى .

على أنه يمكن القول بأنَّ جماعة بكرية من بني يشكر كانت لهم الريادة في نزول خراسان في وقت مبكر ، وذلك حين تولَّى أمير بن أحمر اليشكري إمارة "زرنج" في أواخر أيام عثمان ، كما تولَّى إمرة "مرو" من قبل زياد بن أبيه في عهد بني أمية ، في عام ٤٥ هـ بالتحديد حيث يعد أول أمير أسكن العرب مدينة مرو كما عند البلاذري ^(٣) .

(١) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٨٧ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ص ٣٦٠ .

(٣) أمير بن أحمر بن مسهر بن أمية بن قيس بن مالك بن ثعلبة بن جشم اليشكري ، أول من سكن العرب في خراسان . انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٥٧٦ .

وتأرجحت زعامة بكر بن وائل بين بني سندوس عشيرة مجزاة وبين ثور ،
الذي قتل في معارك خراسان والمسامعة ^(١) ، غير أنها قد ظلت لآل ثور في
الصفة الرسمية مع احتفاظ المسامعة بمكانتهم الاجتماعية، وينظر إلى بني بكر بن
وائل على أنها أطوع من غيرها للحكام ^(٢) ، وفي عهد الخليفة عثمان اصطدمت
بكر ببني تميم في حروب لا يوجد بينها وبين حروب الجاهلية أي فرق ^(٣) .
وقد انضمت أغلبية بكر إلى علي بن أبي طالب في حرب الجمل ^(٤) ،
ولكنها بأكملها ومعها جميع القبائل الربعية قد أصبحت في صف علي أيام
صفين ، تحت راية الحُضَيْن بن المنذر الرقّاشي ^(٥) ، الذي أصبح أبناؤه من أبرز
العشائر البكرية الخراسانية ، وولاء زعماء بكر لعلي لا يشوبه سوى ما روي من
أنّ خالد بن المعمر السدوسي مالاً معاوية في حرب صفين ، وأن معاوية وعد
خالداً بإمرة خراسان ^(٦) .

(١) يستند بنو مسمع على مالهم من مجد سالف في القبيلة فجدهم ربعية بن ضبيعة (جَحْدَر) صاحب يوم
تحلاق اللّمْ (قِصَّة) الذي انتصرت فيه بكر على تغلب بعد هزائم متوالية كاد أن يفنى فيها البكريون
ثم اكتسبوا شهرة عريضة في البصرة أحرزها لهم مالك بن مسمع سيد ربعية في زمانه . انظر ابن
أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج ١ ، ص ٢٥٦ .

(٢) انظر المسعودي : مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٤ .

(٣) وذلك في يومي الوقى والشباك ، والوقى ماء لبني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم في شمال الجزيرة
العربية ، والشباك عن يمين المصعد إلى مكة من واقصة غرباً . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ،
ص ٧٧ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣١٧ ، ج ٤ ، ص ٢١٥ .

(٤) انظر المنقري : وقعة صفين ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، وابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج ١ ،
ص ٧٥٧ .

(٥) انظر المنقري : وقعت صفين ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، وابن أبي الحديد شرحه نهج البلاغة ج ١ / ٧٥٧ .

(٦) خالد بن معمر بن سليمان السدوسي قائد من رؤساء بكر بن وائل أدرك عهد النبوة قال فيه الشاعر:

معاوي أكرم خالد بن معمر فإنك لولا خالد لم تؤمر

توفي في عام ٥١ هـ ، انظر ابن الأثير : الكامل ج ٣ ، ص ١٤٦ .

وأيدت بعض المصادر ذلك بالقول بأن خالداً غدر بالحسن وبإيع لمعاوية^(١)، ونقل البلاذري - كما سيأتي بيانه - أن خالداً مات في طريقه إلى خراسان مؤمراً عليها من قبل معاوية^(٢).

وظهر في بني بكر عدد من مشاهير الخوارج ، ويعد نافع بن الأزرق وهو حنفي بكري من أشدهم وهو من أصحاب النهروان غير أنه اعتزلهم فحكموا عليه بالضلال، وقبل أن يكون خارجياً كان زعيم قومه، وقد اشتهر بالشدة والصرامة حتى لقي مصرعه على يد المهلب بن أبي صفرة، أمير خراسان، الشهير بقتال الخوارج وذلك في معركة "دولاب" بقرب الأهواز في عام ٦٥هـ^(٣).

ويعد ابن الكواء اليشكري من أوائل الخوارج البكرين ، وهو من الذين ثاروا على عثمان ، ثم كان من المتحمسين لنصرة علي غير أنه أنكر التحكيم وخرج مع أهل النهروان ، وانقطعت أخباره بعد ذلك إلا ما قيل عن أنه استوطن خراسان^(٤) ، ومثله في ذلك أشرس بن عوف الشيباني^(٥) ، والبطين الخارجي من بني مُحلم بن ذهل بن شيبان^(٦) ، والضحاك بن قيس من بني مُحلم أيضاً ، وهو الذي بايعه مائة وعشرون ألف مقاتل على مذهب الصُفَرِيَّة ، وسلّم عليه بالخلافة جماعة من قريش وفي ذلك قيل :

(١) انظر ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٣٥٧ ، وابن حجر : الإصابة ، ص ١٥٨ .

(٢) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣٨٦ .

(٣) هو نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري ، حروري تنسب إليه الأزارقة . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٨٥ ، وعن حروراء . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٧٥ .

(٤) وابن الكواء هو : عبدالله بن عمرو بن ظالم ، انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٠٨ .

(٥) وكان أشرس من وجوه قومه وشجعانهم ، خرج على علي بن أبي طالب وقتل بالأنبار عام ٣٨هـ .

(٦) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ١٧١ ، ص ١٨٧ .

ألم تر أن الله أظهر دينه وصلت قريش خلف بكر بن وائل^(١)
وممن ينتسب إلى مشاهير الخوارج من البكرين شيب بن يزيد من آل ذي
الجددين من بني شيبان^(٢) ، ونجدة بن عامر الحنفي^(٣) ، الذي استقل عن نافع بن
الأزرق ، وانخزل إليه جماعة أبي طالوت الخارجي البكري^(٤) ، وعُمران بن
حطّان^(٥) ، وعبيدة بن هلال اليشكري^(٦) .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٦ ، ص ٢١٥ .

وقد قتله مروان بن محمد . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٢٢ .

(٢) شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو من أكبر الثائرين على بني أمية ، داهية شديد الطموح ،
وأمه جهيزة التي يضرب بها المثل في الحمق . مات في عام ٧٧ هـ وتنسب إليه فرقة تعرف باسم
الشيبية وله ابن خرج أيام خالد القسري اسمه الصُّحاري . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ،
ص ٢٢٣ ، الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٥١٢ .

(٣) نجدة بن عامر بن عبدالله بن سيّار من بني عدي بن حنيفة رأس الفرقة النجدية التي تنسب إليه بعد
أن فارق نافع بن الأزرق ، قُتل عام ٦٩ هـ . انظر ابن الأثير : الكامل ج ٤ ، ص ٧٨ ، ابن الكلبي :
جمهرة النسب ، ص ٥٤٣ .

(٤) هو مطر بن عُقبة بن يزيد بن الفند الشاعر الجاهلي شهّل بن شيبان من بني زِمّان ، خرج بواد الخضرارم
باليمامة . انظر المبرد : الكامل ، ج ٣ ، ص ٣٨٥ .

(٥) هو عمران بن حطان بن طبيان السدوسي البكري ، ويكنى بأبي سمّك تلقى الحديث عن أبي موسى
واشتهر بطلب العلم ثم إنه تزوج امرأة من الخوارج فكان تأثيرها عليه قوياً فالتحق بهم وكان شاعراً
مفلقاً حتى قيل : إن أكثر الشعر المنسوب إلى الخوارج إنما هو من نظمه خدمة منه لمذهبهم وهو القائل
في رثاء مرداس التميمي :

يا عين فابكي لمرداس ومصرعه يارب مرداس اجعلني كمرداس

وقد مات عمران في عام ٨٤ هـ . انظر الهاشمي : النهروان أو الخوارج ، ص ١٦٨ ، والمسعودي :
مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٤٢٧ .

(٦) من زعماء الخوارج الأزارقة المقدمين طارده سفيان بن الأبرد الكلبي حتى قتل في قومس عام ٧٧ هـ .
انظر ابن الأثير : الكامل ج ٤ ، ص ٦٨ ، ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٢٠٧ هـ .

أمّا الشعر فكان لبني بكر بن وائل نصيب وافر في خراسان وعُرف نهار
بن تَوْسَعَة البكري بأنه شاعر بكر المقدم هناك ^(١) .

المنازل والوقائع :

وأهم مصدر لمعرفة المنازل والديار لهذه القبيلة هو وقائع العرب في
الجاهلية إذ هي السبيل لمعرفة الحياة القديمة ومنها المواطن والمناهل ^(٢) .

وأشهر مواطن بني بكر بن وائل تقع في بلاد البحرين بعد اليمامة ،
والبحرين هي شرق الجزيرة ، قال البكري : البحرين تشية بحر وهو بلد مشهور
بين البصرة وعمّان ، صالح أهله رسول الله ﷺ ، وأمرٌ عليهم العلاء بن الحضرمي ،
وبعث أبا عبيدة ليأتي بجزيرتها ^(٣) .

وفي التقسيمات البلدانية لجزيرة العرب فإن البحرين تدخل في مسمى
العروض ، قال البكري قال أبو إسحاق الحربي : سميت جزيرة العرب جزيرة
لإحاطة البحر بها والأنهار من أقطارها وأطرافها ، يقصد بالأنهار نهري دجلة
والفرات ، والجزيرة هي أرض العرب ومعدنها .. وقال : هي خمسة أقسام :
تهامة ، والحجاز ، ونجد ، والعروض ، واليمن .

وتدخل البحرين ومعها اليمامة وما والاها في مسمى العروض وفيهما
نجد وغور قال المخبّل السعدي التميمي :

فإن تمنع سهول الأرض مني فأنني سالك سبل العروض

(١) انظر المسعودي : التنبيه والإشراف ، ٢٧٨ ، والآمدي : المؤلف والمختلف ، ص ١٩٣ .

(٢) من أهم مصادر الأيام كتاب النقانض .. ولأبي عبيدة معمر بن المثنى عناية كبيرة بالأيام .. ومن قبله
كان أبو عمرو بن العلاء ينقل أخبار الأيام عن أشياخ أدركوا الجاهلية .

(٣) البكري : معجم ما استعجم . مادة الباء .

والبحرين قريبة من البحر وفيها مواضع منخفضة ومسائل أودية ، قال
البكري عن الدوّ ، والصمان ، والدهناء إنّها في شق بني تميم ، وكان يقال : من
تصيّف الشرف ، وتربّع الحزن ، وتشتي الصمان فقد أصاب المرعى" .
والدهناء والصمان معروفان في شرق الجزيرة العربية وداخلان فيما كان
يعرف باسم البحرين ، والبحرين من العروض كما تقدم أمّا الدوّ فهو ما يُعرف
الآن باسم الدبدبة كما يرى ذلك الشيخ حمد الجاسر في معجمه الجغرافي عن
شرق الجزيرة العربية (البحرين)^(١) .

أمّا الحَزْن فهو خارج أرض البحرين في معظم أجزائه إن لم يكن جميعه
ولا يعرف الآن باسمه القديم ، لكن تحديده ممكن بالأماكن التي كانت تقع داخله
مثل : الثعلبية ، وأختال ، والزيرة إلى الشمال من زرود وعرق المظهور ،
والحَزْن يمتد إلى صحراء فلج (حفر الباطن) إلى أطراف العراق ويقال له قديماً :
حزن بني يربوع وبه حدثت أكثر وقائع بني بكر بن وائل وبني تميم .
أما أول هجرة عربية معروفة إلى أرض البحرين فقد عَوّل البكري على
رواية أبي الفرج الأصبهاني ، صاحب الأغاني ، وهي ترد عن غير أبي الفرج
في مصادر أدبية وبلدانية لكن مصدرها في الغالب محمد بن السائب الكلبي
وابنه هشام !! وابن الكلبي يذكر نزول قضاة ، وهو منها ، في البحرين وهجر
بعد أن نزعوا من تهامة وتقول الرواية : لما نزل هؤلاء الأقوام بهجر قالوا لكاهنة
منهم تدعى الزرقاء : ما تقولين يا زرقاء ؟ قالت :

ودّع تهامة لا وداع مخالق بذمامه لكن قلبي ومـلام
لا تتركي هَجْراً مُقام غريبة لن تعدمي من ظاعنين تهام

(١) حمد الجاسر : معجم شرق الجزيرة (البحرين قديماً) .

والبكري الذي يُنقل عنه كثيراً من أخبار المواقع وتحديداتها وتحقيق أسمائها ينتمي إلى بني بكر بن وائل وهو من أهل الأندلس ، وكتابه معجم ما استعجم متميز بتحقيق أسماء البلدان والجبال والأودية والأمواه وضبطها لغوياً، وإن لم يكن متبسطاً في التعاريف بالبلدان من حيث الحديث عن المنتمين لكل بلد من الأعلام صنيع ياقوت الذي أتى بعده وألف كتاب معجم البلدان .

ويتصل برواية نزول قضاة في البحرين نزوح قوم من الأزد الكهلانيين اليمانيين إلى تلك البلاد قبل أن تحلها العدنانية من إياد وربيعة (عبدالقيس وبكر بن وائل) وقيم .. والذي لا جدال فيه أن قسماً أزدياً قد حلَّ عُمان وبه عُرفت وإليها نسب قبل الإسلام وبعده ، وهذا القسم هو أزد عُمان وأخبارهم بعد ظهور الإسلام واضحة هناك .

أقول هذا ؛ لأن كثيراً من الرحلات اليمانية وانتشارها في البلدان قبل الإسلام موضع شك كبير .. والمبالغة إن لم نقل الوضع في روايات ابن الكلبي ومن قبله عبيد بن شربه الجرهمي ثم الهيثم بن عدي ، وابن اعثم الكوفي ، والهمداني ، ونشوان الحميري في تضخيم الحوادث المنسوبة إلى العربية الجنوبية أمر معروف .

أمّا عن الهجرات العدنانية إلى شرق الجزيرة فأولها رحلة بني إياد أخوة ربيعة ومُضر لكن الأبين والأشهر من رحلتهم إلى هذه الأرض هو نزوعهم إلى أرض العراق في وقت مبكر بالنسبة لانتشار العرب فيما بين سداد وكاظمة وإلى الخورنق وحتى أرض الجزيرة الفراتية .. وقد جرى لهم مع الفرس وقائع في أرض السّواد .

وقبل نزوح بكر بن وائل إلى أرض البحرين يذكر تاريخهم القديم أنهم

كانوا في أرض العالية ، عالية نجد ، وإنَّ العالية شهدت حرب ربيعة لليمن أو لمَذْحَج الكهلانية على وجه الخصوص وهي الحرب المعروفة بوقعة "خزاز" .
والعالية اسم لما يلي الحجاز من أرض نجد ، والبلدانيون القدماء يحددون العالية بأسماء القبائل التي كانت تقطنها .. أمَّا شهرة بني وائل من ربيعة في أرض العالية فترتبط بوقائع من أشهر وقائع العرب في الجاهلية ، الأولى منها خزاز ، والثانية البسوس ، وهذه الأخيرة تتكون من عدة أيام تحولّت من العالية إلى البحرين وانتهت هناك .

خزاز ونار الحرب الكبرى :

خزاز أو خزازی جبل لا يزال يحمل اسمه القديم ، وعلى قمة هذا الجبل أوقد السفاح التغلبي الوائلي نار حرب ربيعة لليمن بأمر من كليب زعيم ربيعة العدنانية وقد أفاض الرواة وأطنب القصاصون وأكثر الشعراء من الحديث عن خبر هذه الوقعة وأهميتها على اعتبار أنَّ بها تمَّ تقويض مملكة كندة وكسر شوكتها في نجد ، وزوال سلطان اليمن عن العدنانيين ..
وجل أخبار هذه الحرب قد شاع عند الناس في عصر بني أمية عصر الخلافات السياسية والمنازعات الحزبية والعصبيات القبلية .. وبهذه الصورة المضخمة صُوِّرت حرب خزاز على أنها نصر لعرب الشمال على العربية الجنوبية .. وتمَّ تصوير كليب على أنه بطل أسطوري تصدياً لمبالغات اليمن في تضخيم أخبار تاريخها الجاهلي .
وعند بعض العدنانية من الرواة أيضاً أن ربيعة لم تختص بدحر جموع اليمن في نجد في معركة خزاز وأنَّ تقيماً وعامراً وهما من مُضر أخت ربيعة قد تقاسمتا مع ربيعة زعامة ذلك اليوم الأولى برئاسة زُرارة بن عُدس الدارمي الحنظلي والثانية برئاسة الأحوص بن جعفر بن كلاب العامري .

ويرى أبو عمرو بن العلاء المازني شيخ العربية إن كليباً لو كان زعيماً مطلقاً في تلك الحرب لما فات عمرو بن كلثوم الوائلي وهو أشهر من أظن بذكرها أن يشير إلى زعامة كليب في تلك الوقعة .. ومن الباحثين من يرى أن وقعة خزاز كانت يوماً محدود الأهمية بين مذحج وربيعة زيد في أخباره كأثر من آثار العصبية عند العرب في عصر بني أمية .

على أنه إن كان هناك مبالغات في أخبار خزاز من ربيعة أو من العدنانية بصفة عامة فإن هذه المبالغات لا توازي شيئاً مما اختلقه رواة اليمن حول أصل العرب .. واللسان العربي وصولات وجولات الأقيال والأذواء والتبابعة .. وانقسام العرب إلى عاربة ومستعربة .. وزعامة بني آكل المرار الكندي ، وأكثر هذه الأمور يداخلها الشك .

ومهما يكن من أمر فإن ربيعة قد اطمأنت في بلاد عالية نجد بعد خزاز فاختصت بماء العالية ومرعاها دون سائر العرب لكن هذه الطمأنينة لم تدم طويلاً إذ شبت حرب البسوس بين ابنائها بكر وتغلب فحولت الصفاء إلى نكد .. ولا يزعمن زاعم أن تلك الملحمة العربية المعروفة بحرب البسوس قد شبت ؛ لأن البسوس المرأة السعدية التميمية قد أثارت حفيظة ابن أختها جساساً الوائلي بأبيات شعرية بعد أن قتل ناقة جاراها سعداً الجرمي "سراب" .. وإن قتل سراب وهو أمر تافه قد جعل جساساً يقتل كليباً فهاجت حرب ربيعة وأتت على الأخضر واليابس بسبب مصرع ناب من الإبل .

لا يزعمن أحد ذلك ولا يذهبن ابن سعيد^(١) فيما نقل عن البيهقي من

(١) ابن سعيد الأندلسي : نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب .

الزراية بالعرب .. أو ما تطفح به المصنفات الحديثة من التشنيع عليهم ؛ لأن الحرب بين بكر وتغلب كانت ستشب لا محالة حتى لو لم تُصرع سراب، ذلك أن ربيعة قد صَبَّحت القبيلتين الكبيرتين في أمواه العالية هما ابنا وائل : بكر وتغلب والتنافس على الماء والمرعى عصب الحياة العربية حينذاك قائم بينهما ثم أنه قد نشأ في بكر شباب من الفرسان الأشداء الذين لا يرون لكليب ما يراه الشيوخ له من الزعامة العامة المطلقة، والاستبداد بمياه العالية ومراعيها .. ولا يقرون له بالحق الذي أعطاه لنفسه بحماية المنابت والاستئثار بالموارد بل ينفرون من ذلك ويحدثون أنفسهم بالثورة والانتفاض حتى لو كان كليب بطل خزاز وصاحبها. وكان جساس يتحدث بذلك صراحة وما أبيات البسوس بعد مصرع ناقة جارها على يد كليب الذي أنكر ورودها مع أبله إلاّ صدى لما يشعر به جساس وكثرة من بني بكر بن وائل وحين قالت البسوس تخاطب جارها :

فيا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل

فانك في دار قوم من الجار أموات

لعمري لو كنت في دار منقذ

لما ضيم سعد وهو جار لأبياتي

ولكنني أصبحت في دار معشر

متى يعدو فيها الذئب يعدو على شاتي

فإنما أشعلت بهذه الأبيات فتيل نار كانت ستستعر حتماً .. وإذا كان قد

ضُرب بكليب المثل في العزة فليل : أعز من كليب وائل فقد ضرب المثل في

الظلم أيضاً .. وذكر ذلك بعض الشعراء فقال عمرو بن الأهتم السعدي :

وإنَّ كليباً كان يظلم قومه فاصابه مثل الذي تريان
وقال العباس بن مرداس السلمي ^(١) في ابن عم له اسمه كليب :
أكليب مالك كل يوم ظالماً والظلم انكد وجه ملعون
افعل بقومك ما أراد وائل يوم الغدير سميّك المطعون
وأخاك انك سوف تلقى مثلها في صفحتيك سنانها المسنون
ويقصد بالغدير غدير النهي حيث قتل جساس كليباً .. وغدير النهي
معدود في وقائع حرب البسوس ، ويرد في وقائعها أيضاً أسماء هذه الأماكن :
واردات ، والأحص ، وشُبَيْث وعُيْزَة ، والذنائب وكلها في عالية نجد .
وفي المصادر البلدانية أن أول استقرار لربيعة في نجد كان فيما بين
أرضها وأرض الحجاز في حضن وذات عرق والعقيق وما والاها من نجد .
ويرد بعد ذلك القول وهو منقول عن ابن الكلبي أن ربيعة كانت حينذاك
خاضعة لسلطة كندة والأرقع من هذا ما أورده الهمداني في تعليق له على
حديث عن أراضي في جنوب الجزيرة وأنها كانت لملوك من اليمن وأحلافهم من
ربيعة فقال : إن هذا غير صحيح فالملوك لا يحالفون الرعيّة ومعروف مبلغ
الهمداني من التعصب والهوى .
قالوا : وكانت ربيعة تسير مع كندة اليمانية في مغازيها وقد سلف
الحديث عن خزاز ونصر ربيعة على اليمن ثم إنَّ ربيعة كانت طرفاً مهماً في
وقعة "الكلاب الأول" التي اضطرع فيها أبناء آكل المار الكندي على الزعامة

(١) من زعماء العرب ، أدرك الإسلام وهو القائل يخاطب الرسول ﷺ .

أُتْجِلَ نَهْيُ وَنَهْبُ الْعَبِيدِ بَيْنَ عُبَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ .

وقام أحد الوائلين وهو : حنش التغلبي بقتل شرحبيل بن عمرو الكندي ..
وبعدها فتك بنو أسد بحجر أخي شرحبيل في يوم عُرف عند العرب باسم يوم
"مأقط" وحجر هو والد امرئ القيس الشاعر الذي كان الأسديون سبباً في هلاكه
هو أيضاً ، وبمقتله انتهى ما يعرف بزعامه بني آكل المار ، وأخبار هذه الزعامه
مبالغ فيها جداً .. وأكثر حوادثها من الموضوعات الملفقة .

وأخبار الأيام نأخذها في الدرجة الأولى من النقائض التي تخللها روايات
كثيرة لأبي عبيدة معمر بن المثنى^(١) .. ولشدة ارتباط هذه الروايات بالوقائع
التي من معرفتها يمكن تحديد الأمكنة فقد اعتمد عليها المصنفون في جغرافية
شرق الجزيرة كالشيخ حمد الجاسر في المعجم الجغرافي والأستاذ عبدالرحمن
العبيد في موسوعته الجغرافية .

وقد أحصيت من أيام العرب في البحرين ما يقارب خمسين يوماً أغلبها
بين بكر بن وائل وقيم^(٢) وهما الغاران كما يوصفان بذلك وقد يقال لهما
الجفّان^(٣) .. ولاحظت أن كثيراً من أسماء المواقع في تلك الأرض قد حدث بها
وقائع جاهلية حتى أن الشواجن وهي جزء من الصمّان في شماله تكاد تكون
مسرحاً لوقائع لا تكاد تنقطع في لصف ، واللهابة ، والنباج ، وثيتل ، وثبره ،
وطويلع .. أمّا عن سبب كثرة الأيام هناك فمرده إلى خصوبة المرعى في
الصمّان ، والصُلب ، والشواجن ووفرة المياه .. وإنّ البحرين قد نزلتها القبائل

(١) اتهمت روايات أبي عبيدة بأنها تؤكد على مثالب العرب وتلج في كشف السؤات .

(٢) كان ذلك في محاضرة ألقيتها بالدمام في عام ١٤١٧هـ بعنوان : وقائع هامة في شرق الجزيرة العربية

(البحرين) في العصر الجاهلي .

(٣) وذلك لكثرة أعداد هاتين القبيلتين .

المحاربة الكبيرة القوية كبكر بن وائل .. وإنها كانت ممراً للهجرات من جزيرة العرب إلى خارجها ، وعلى أرضها نشأ فرسان أشداء من أحلاس الخيل وقروم الحرب كبسطام بن قيس البكري الوائلي ، والخوفزان بن شريك البكري الوائلي ، وعتيبة بن الحارث اليربوعي ، وقيس بن عاصم المنقري .. وإن هذه الأرض قد كانت موطناً لمشهورين من شعراء الجاهلية الكبار كطرفة بن العبد ، والمرقش الأكبر ، والمرقش الأصغر ، والحارث بن عبّاد ، وهؤلاء من بكر بن وائل ، والمثقب العبدي ، والممزق العبدي ، والمسيّب بن علس ، والمثلثس بن ضبيعة .. وهؤلاء الأخيرون يلتقون من بكر بن وائل في ربيعة .

ويضاف إلى هذا أن لإمارتي المناذرة والغساسنة أثراً في إثارة الوقائع بين العرب بطريق مباشر أو غير مباشر ومن وراء هؤلاء كان للفرس أيضاً دور في بعض أيام العرب حتى أن بعض غزوات بكر بن وائل من السواد على أرض البحرين كانت بدعم من ولاية فارس على عين التمر ، وهيت ، والأبلة .. وربما اشترك الأساورة في بعض الأيام كيوم الصليب بكاظمة^(١) ، ويوم الصفقة بنطاق الموقع الذي لا يزال يحمل اسمه القديم إلى الآن^(٢) .

بسطام وبيوت ربيعة :

لما أصيب بنو النمر بن قاسط في حربهم مع عبدالقيس في أول حرب بين قبائل ربيعة خرجت الرئاسة من بني النمر وأصبحت في بني يشكر بن بكر بن

(١) كاستر : الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية ، ص ٣٧ .

(٢) تقع نطاع في المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية .. ولها ذكر في خبر الصفقة بين بني تميم

وكسرى ، كما حدث بها يوم آخر بين تميم وتغلب ذكره المنخل البشكري في معلقته :

أذننا ببينها أسماء رب ثاوٍ يل منه الثواء

وائل .. وارتمحت عبدالقيس إلى البحرين وضاموا من بها من إياد والأزد ،
وتبعته بكر بعد حرب البسوس في العالية على أن بطناً بكرياً وائلياً قد عرفته
بلاد البحرين قبل سائر البطون البكرية وهو بطن قيس بن ثعلبة قوم الحارث بن
عباد صاحب النعامة .. وقد استكثرت كثير من البطون البكرية مقتل كليب
واستكبرته فتخلت عن بني شيبان البكرية الوائلية في حربها مع تغلب حتى
اضعفتهم الحرب ونقلتهم من بلد إلى بلد فأحب الحارث بن عباد بعد أن أسرف
المهلل أخو كليب في قتل بني شيبان أن يدفع إليه بابنه بجير فيقتله بكليب
ويكف عن الحرب لكن المهلهل قتل بجيراً بشسع نعل كليب فاستعظم الحارث
ذلك ودخل الحرب مع بني أبيه من بكر بل قاد بكرأ كلها في وقعة قضه (تحلاق
اللمم) في أسفل ما يعرف الآن بوادي الجمعة وهو درب طبعي للانتقال إلى
شرق الجزيرة من العالية .

لقد اسرف المهلهل في قتل بني شيبان وتوالت على هؤلاء الهزائم وهو لا
يفتأ يذكر كليباً :

نبئت أن النار بعدك أوقدت واستب بعدك يا كليب المجلس
وتلكموا في أمر كل عزيمة لو كانت حاضر أمرهم لم ينسبوا
وقال :

قتلوا كليباً ثم قالوا اربعوا كذبوا ورب الحل والإحرام
وقال :

اني قتلت بكرأ برهمم حتى بكيت ولم يبك لهم أحد
وإسرافه في القتل جعل الحارث يرغبه في الصلح لكنه لج في العناد وأبى
إلا مواصلة القتال .. وفتك برسول الصلح بجير بن الحارث وعندها قال الحارث:

قربا مربطا النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال
وحميت بطون بكرية وائلية لم تشهد الحرب فاحرز الحارث النصر في
قصة، وأسر المهلهل وهو لا يعرفه ثم أطلقه .. ثم أسر المهلهل في آخر حياته
أسره أحد بني قيس بن ثعلبة في صلاصل بالبحرين .. ومات في أسر هذه
البكري الوائلي أمّا ما يقال من انتقال المهلهل إلى جنوب جزيرة العرب وإكراه
مذحج له على تزويج ابنته من أحدهم فهناك من يرى أن هذا الخبر من المنتحل
المصنوع وسنأتي على بيان هذا الخبر وتحليله ونقده فيما بعد .

وهناك من يروي أن هلاك المهلهل كان على يدي عبيدين من مواليه ضجا
منه في آخر حياته وقد خرّف وفي ذلك ألغز لذويه بالبيتين التاليين :

من مبلغ الأقوام أن مهلهلا أضحى قتيلا في الفلاة مجندلا
لله در كما ودر أبيكما لا يبرح العبدان حتى يقتلا
والغالب الأرجح أن صاحب هذه القصة هو المرقش البكري الوائلي وصحة
البيت الأول هي :

من مبلغ الأقوام أن مرقشا

وكان سعد بن ضبيعة وهو من بني قيس بن ثعلبة قد قال للحارث بن
عباد حين اعتزل حرب وائل :

يا بؤس للحرب التي وضعت أراھط فاستراحوا
فقال الحارث : لا ناقة لي فيها ولا جمل .. فذهب مثلاً ولما دخل الحارث
الحربَ وفرياً فرياً قال طرفة بن العبد ، وهو حفيد سعد بن ضبيعة :
أبا منذرٍ أفنيتَ فاستبق بعضنا

حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وكان يوم قِصَّة أو تحلاق اللِّم بداية لتوالي الهزائم على تغلب فسار أكثرهم إلى العراق على طريق إياد .. وقد أصلح ملوك الحيرة بين بكر وتغلب وجرى لهم بعد الصلح حوادث عدة كثرت فيها الوقائع والأشعار .

وبعد بداية البسوس بأعوام طوال كان لبني بكر بن وائل وقائع من أشد وأعنف أيام العرب .. وكان الذي يتزعم البكرين الوائلين في هذه الوقائع هم أحفاد همَّام بن مرة من بني شيبان وعلى رأس هؤلاء بسطام بن قيس، والخوفزان بن شريك. وبسطام الشيباني من بكر بن وائل يتصل نسبه بهمَّام أخي جَسَّاس وبينهما تسعة آباء أي أنَّ الزمن الفاصل بينهما يزيد عن مائتين وخمسين عاماً بحساب تقدير الأجيال وبسطام فارس ربيعة بدون منازع ولم يعرف أحد من الجاهليين بهذا الاسم غيره .. وروِّي إنَّ أباه قيس بن مسعودُ بشرُّ به وهو في حبس كسرى وبين يديه غلام يؤرث النار بأسطام حديد فقال : أي شيء هذا ؟ قال أسطام فسماه بسطاماً، وفي لسان العرب: بسطام ليس من أسماء العرب.. وقد رأس بسطام وهو ابن عشرين عاماً ويقال له : المنتقم قال الشاعر :

سقط العشاء به على متقمراً سمح اليدين معاود الإقدام

وفيه قيل :

لعمري لقد ضجت تميمٌ وعامرٌ لقد كنت قدماً في حلوهم شجا
وجد بسطام الأعلى هو خالد بن عبدالله بن الحارث بن همَّام ويقال لعبدالله : ذو الجدين وهو بيت ربيعة الأول .. أما بيتها الثاني فهو بيت الخوفزان واسم الخوفزان الحارث بن شريك ويقال له : قاتل الملوك وسالبها أنفسها وهو من ذرية همَّام بن مرة وإليه ينتمي آل معن بن زائدة الكرماء المشهورون في عصر بني العباس .

وقاد بسطام والحوفزان غزوات جاهلية أدت إلى معارك غنية بالأخبار التاريخية والآثار الأدبية .. وكانا ينطلقان بالجيوش من سواد العراق قبيل الإسلام إلى الستار ، والقاعة ، والمصان ، وفلج ، والدهناء ، في أرض البحرين وإلى الحزن .

ونقل عن أبي الأعرابي : إن لبسطام أربع وقائع : أسر يوم الصحراء ، وظفر يوم قشاوة ، وانهزم يوم العظالي ، وقتل يوم النقا ، والمقصود بهذا القول: هو إن هذه الأيام من أشهر وقائعه وإلا فإن له وقائع أخرى غيرها ، وهذه الوقائع الأربع غير مرتبة زمنياً ونقلت عن ابن الأعرابي كما أوردها ، على أن الذي يظهر من تتبع حوادثها إن أولها هو : يوم قشاوة وهذا الموقع غير معروف الآن إلا أن الأستاذ حمد الجاسر يستنتج أنه في شرق الجزيرة مما يلي العراق حيث حزن يربوع الموالي لبلاد بني شيبان من بني بكر بن وائل في نواحي الكوفة (١) .

وفي قشاوة أصاب بسطام بني يربوع وظفر ببني سليط منهم وآخرين من بني عاصم .. وفي ذلك اليوم قال مالك بن نويرة ولم يشهده ، كما لم يشهده عتيبة بن الحارث صياد الفوارس :

لحي الله الفوارس من سليط خصوصاً أنهم سلموا وآبوا
وكانت جعفر لو صادفتها هم أصحاب نجدتها وغابوا
وقال :

ولو شهد الفوارس من عبيد لراب رهط بسطام إياب
ولو سمع الدعاء بنو رياح لجاء فوارس منهم غضاب

(١) حمد الجاسر : معجم شمال المملكة ، مادة القاف .

وكان جرير يهاجي غسان السليطي - وكلاهما من يربوع - في عهد بني أمية فقال يذكر ذلك اليوم :

بئس الفوارس يوم نعف قشاوه والخيل عادية على بسطام
تركوا الأحيمر حين خرقة القنا إن المحامي يوم ذاك محامي
واليوم الثاني من أيام بسطام المشهورة هو يوم الصحراء ، صحراء فُلَج ،
وكان بسطام والخوفزان قد غزيا ب بكر بن وائل بني تميم فهُزَمَا وأسر بسطام أسره
صيّاد الفوارس وطمعت تميم في قتله بمن قتل منهم في يوم قُشاوة لكن صياد
الفوارس أبقاه زمناً ثم نقله إلى بني عامر من هوازن في الشَّرْبَةِ جنوب وادي
الرمة في العالية إلى أن افتدى نفسه بأربعمائة بغير وثلاثين فرساً ، قيل : ولم
يكن عربي عكاظي أغلى فداء منه وفي ذلك قال صياد الفوارس :

أبلغ سراة بني شيبان مألكة أني أبأت بعبدالله بسطاما
ان تحرزوه بذئ قار فذا قنة فقد هبطت به بيداً وأعلاما
قاظ الشَّرْبَةِ في قيدٍ وسلسلةٍ صوت الحديد يغنيه إذا قاما
أمّا مالك بن نويرة الطامع في قتل بسطام فقال يخاطب صياد الفوارس :
لله عتاب بن مية إذ رأى إلى ثأرنا في كفه يتلدد
وعتاب بن مية هو صياد الفوارس ، ومية أمه .

وثالث أيام بسطام المشهورة هو يوم العظاليّ وسُمي بذلك لأن فرسان بكر بن
وائل ، بسطام بن قيس ، ومفروق بن عمرو تعاضلوا على الرئاسة وإلاّ فإنّ
هذا اليوم يعرف بيوم الأفاقة ، ويوم الحُدَيْقة ، ويوم روضة الشمد ، ويوم مُليحة
وهي مواقع خارج البحرين في الحزن .. وقد جاءت بكر إليها من عين النمر ،
ويروي أبو عبيدة : إنّ عاملها أمدهم بثلاثمائة فارس فأقبلوا يتوقعون انحدار

بني يربوع في الحزن وكانوا يتشتون جُفأفا .. وقيل : إن بسطاماً علم بمقتل صياد الفوارس وكان كاهناً .. وكان صياد الفوارس قد مات بأرض سميراء في بلاد الجبلين غدر به ذؤاب بن ربيعة الأسدي^(١) .. ولما تعاظَل الرؤساء الوائلون على زعامة الجيش قال مفروق لبسطام : انتفخ سحرك بموت عُتيبة بن الحارث .. وقد انهزمت بكر في يوم العظالي ومات زعيمها مفروق في ثنية ظلت تحمل اسمه .. وفرَّ بسطام على فرسه ذات النسوع من أمام مُكسّر الرّماح الأحيمر الرياحي اليربوعي ، ونعى العوام الشيباني الوائلي على قومه هزيمتهم وقال :

قبح الإله عصابة من وائل يوم الأفافة اسلموا بسطاما

ومفروق المذكور في هذه الواقعة من البيت الذي يعرف ببيت ربيعة الثالث وهو من ذرية مرة بن ذهل بن شيبان الوائلي من غير أن يكون من نسل همّام كالحوفزان وبسطام .

ويبقى من أيام بسطام المشهورة التي ذكرها ابن الأعرابي اليوم الرابع والأخير وهو يوم النقا ، نقا الحسن ، أو نقا الحسين وقد يقال له : يوم الشقيقة أو شقيقة الحسن أو الأميل أو فلك الأميل .. وقد حدث هذا اليوم في نقا من أنقية الدهناء وبه قُتل بسطام قتله عاصم بن خليفة الضبي في وقعة من وقائع تميم .. وكان بسطام قد أغار من سفوان إلي أن وصل الحنبلي شرق الدهناء في أعلى وادي فلج (الباطن) أو فيما بينه وبين تعشار الواقع في شمالي سدير ، وتعشار هي أم الجماجم^(٢) ، وفي قتل بسطام قال الفرزدق في الإسلام :

(١) تقع سميراء في الطرف الجنوبي الشرقي من جبل سلمى بأرض حائل .. وهي محطة في طريق الحج المكي الكوفي .

(٢) ابن خنيس : معجم اليمامة ، ص ١١١ .

وخالي بالنقا ترك ابن ليلي أبا الصهباء محتفراً لهاها
 كفاه التبل تبل بني تميم واجزره الشعالب والذئابا
 أي كفاه الثأر ، وعند بعض الشراح أن الفرزدق إنما قال :
 كفاه الليل ليل بني تميم .. وكانت نساء تميم يتمنطقن بالليل تأهباً
 لغارات بسطام المفاجئة .. قيل : ولم يبق بيت في بكر بن وائل إلا هدم حين
 قتل بسطام اكباراً لقتله وحزناً على فقده .
 ومن أيام بسطام - عدا ما ذكر - إغارته على بني يربوع بفيحان وأسره
 للربيع بن صياد الفوارس ، وفي يوم آخر يُعرف بيوم زبالة أصاب بسطام بني
 تميم وكان في الأسرى شاعر يربوعي حنظلي فسمعه بسطام يقول :
 إن الذين ترجين ثم إيا به سقط العشاء به على بسطام
 فاطلقه بسطام بدون فداء .. وفي زبالة وقع الأقرع بن حابس التميمي في
 الأسر وفي ذلك قال أوس بن حجر :
 وصبحنا عار طويل بناؤه نسب فيه ملاح في الأفق كوكب
 والذي أسره هو : حية الشرعبي من بني بكر بن وائل .. وذكر أبو عبيدة
 أن بسطاماً والحوذان غزياً ببكر بن وائل بني تميم فهزمتهم يربوع في مكان
 يعرف بمخطط فهربا وفاتا ركضا .
 ومن جيد ما قيل في بسطام هذان البيتان :
 جاءت هدايا من الرحمن رسالة حتى أنيخت لدى أبيات بسطام
 مسوم خيله تعدو مقانبه على الذوائب من أولاد همام
 وهما لشاعر جاهلي من عنزه اسمه رشيد بن رميض العنزي .

العرب في خُراسان وبلاد ما وراء النهر في العصر الأموي

[٣]

الدكتور عبدالرحمن الفريح *

فتح خُراسان :

أورد الطبري وابن الأثير خبر فتح خُراسان في حوادث عام ١٨ للهجرة ثمَّ أوردوا خبر هذا الفتح ضمن حوادث عام ٢٢ هـ أيضاً^(١) .

وكان "يزدجرد" ، الإمبراطور الفارسي ، قد التجأ إلى "جلولاء"^(٢) بعد سقوط "المدائن"^(٣) ، العاصمة الساسانية ، فحشد بها جموعاً ضخمة غير أنه

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ص٢٦٢ . ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص١٧ .

(٢) هي المرحلة الثانية في الطريق إلى خُراسان من بغداد ، على نهر تيسر فيه السفن من " باعقوبا " إلى "باجسرا " . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٢٧ . ووهم البكري فذكر إنَّ " جلولاء " في الشام ، وإن المعركة التي وقعت في عام ١٦ هـ تسمى "فتح الفتوح" . انظر البكري : معجم ما استعجم ج١ ، ص٣٩٠ .

(٣) هي " طيسفون " الفارسية بينها وبين بغداد ستة فراسخ ، وسماها العرب المدائن لأنها سبع مدائن على جانبي دجلة بين كل مدينة إلى الأخرى مسافة قريبة أو بعيدة ، انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج٥ ، ص٧٥ .

* بكالوريوس قسم التاريخ من كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود ١٣٩٩ هـ .

- ماجستير قسم التاريخ من كلية العلوم الاجتماعية بالجامعة نفسها ١٤٠٥ هـ .

- دكتوراه من جامعة أم القرى ١٤١٣ هـ .

- يعمل الآن نائب رئيس النادي الأدبي في حائل ، ومدير إدارة المستشارين بإمارة منطقة حائل .

أخفق وفرّ إلى "أصبهان" في عام ١٩هـ^(١) ، وهناك اجتمع عليه ما يقرب من مئة ألف مقاتل وجههم إلى "نهاوند"^(٢) لكن المسلمين بقيادة النعمان بن مُقرّن المزني ، رضي الله عنه ، هزموا جيشه في عام ٢١هـ في أرض "نهاوند" ، وسمّوا المعركة "فتح الفتوح"^(٣) لعظمتها^(٤) .

وبعد هذه المعركة فرّ "يزدجرد" إلى خُراسان . وهنا تكون الرواية التي تشير إلى أن فتح خُراسان قد تمّ في عام ٢٢هـ أولى بالقبول ، فالطريق إلى خُراسان أصبحت سالكة بعد "فتح الفتوح" ، واستسلام عدد من المدن والقللاع^(٥) .
وجود ملك الفرس هناك لا شك أنه سبب قوي يدعو إلى مواصلة الفتح ومطاردة العدو^(٦) ، وفي هذا المعنى قال الأحنف بن قيس التميمي^(٧) لعمر بن

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ص ٢٣٢ .

(٢) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣٠٠ . ونهاوند تقع جنوب همدان بينهما ثلاثة أيام . انظر ياقوت : معجم البلدان ج٥ ، ص ٣١٢ ، وهما في إقليم الجبال ، أو فيما يعرف بالعراق العجمي إلى الغرب من إقليم فارس . انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٣٢ .

(٣) وفيها قال نافع بن الأسود بن قطبة بن مالك الأسدي من بني عمرو من تميم :

ونحن حسنا في "نهاوند" خيلنا لعشر ليال أنتجت للأعاجم

انظر نوري القيسي : «شعراء إسلاميون» ، ص ١٠٥ نقلاً عن مخطوط "الغزوات" لابن جبيش .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص ٣ . والنعمان بن مُقرّن صحابي من مزينة المضربة العدنانية التي أصبحت في عداد تميم في الإسلام في خُراسان وغيرها ، أسلم في السنة الخامسة ، واستشهد في هذه المعركة . انظر أحمد بن علي بن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٥ ، ص ٢٩٧ .

(٥) مثل : الدّينور ، وهمدان ، والماهين ، وأصبهان ، والرّي . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص ٧ - ١٢ .

(٦) سار يزيد بن جدي إلى "الرّي" بعد هزيمة أهل "جلولاء" ثم إلى "أصبهان" و "كرمان" ، وأخيراً حلّ في "مرو" ومن هناك كاتب أهل "فارس" و "إقليم الجبال" فثاروا على المسلمين . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ١٦ .

(٧) الأحنف بن قيس من بني مرة من بني سعد من بني تميم المضربة العدنانية . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢١٢ ، وفيه قال الشاعر :

وقالت تميم لا نرى أن واحداً كأحنفنا حتى الممات يكون

الخطاب، رضي الله عنه : "يا أمير المؤمنين إنك نهيتنا عن الانسياح في البلاد ، وإنَّ ملك فارس بين أظهرهم ، ولا يزالون يقاتلون مادام ملكهم فيهم ، ولم يجتمع ملكان متفقان حتى يخرج أحدهما صاحبه ، وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلا بانبعاثهم وغدرهم ، وأنَّ ملكهم هو الذي يبعثهم ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا بالانسياح؛ فنسيح في بلادهم ، ونزيل ملكهم فهناك ينقطع رجاء أهل فارس" . فقال عمر :

"صدقني والله" . وأذن في الانسياح في بلاد فارس عام ٢٢هـ ^(١) .

ويكاد ينفرد البلاذري بذكر أنَّ فتح خُراسان لم يتمَّ إلاَّ بعد عام ٢٩هـ ^(٢) ، وأورد في ذلك خبراً مفاده : أنَّ يزيد جرد هرب من "أصبهان" ^(٣) إلى "أصطخر" ^(٤) وأنَّ أبا موسى الأشعري ^(٥) رام فتح "أصطخر" فلم يمكنه ذلك ، وقدم عبدالله بن عامر بن كريز ^(٦) البصرة سنة ٢٩هـ ، وقد افتتحت فارس كلها إلاَّ "أصطخر" ، فافتتح من أرض فارس ما افتتح ثم غزا خُراسان في سنة ٣٠هـ في وقت انتقل فيه يزيد جرد من "كرمان" إلى "مرو" ^(٧) .

(١) انظر محمود شيت خطاب : قادة فتح بلاد فارس ، ص ٢١٩ .

(٢) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣١١ ، ٣٩٤ .

(٣) أصبهان : من أعظم مدن الإمبراطورية الفارسية في إقليم الجبل ، وكان اسمها يطلق على الإقليم بأسره ، وقيل : معناها بلاد الفرسان ، وذكر ياقوت : إنَّ علماءها في الإسلام كثيرون ، وهي من فتوح أهل البصرة ، انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

(٤) أصطخر بلدة في إقليم فارس وحسن منيع فيه ، ينسب إليها كثير من أهل العلم . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢١١ .

(٥) هو : عبدالله بن قيس من بني الأشعر القحطانيين اليمانيين ، استعمله عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على البصرة عام ١٧هـ ، وأقره عثمان بن عفان - رضي الله عنه - عليها ، ثم عُيِّن أميراً على الكوفة .

(٦) من بني أمية من قريش . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٥٤ . وسيأتي التعريف به .

(٧) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣١١ ، ٣٩٤ .

والذي يلاحظ على رواية البلاذري أنها لم تفرق بين الفتح الأولي لخُراسان وإعادة الفتح الذي اضطر إليه المسلمون بعد أن توفي الخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، وثار أهل خُراسان بعمّالهم^(١) .

وقد كانت فتوح الأقاليم التي مهدت السبيل للوصول إلى خُراسان فتوحاً بصرية في معظمها^(٢) غير أن "نهادند" كانت من فتوح أهل الكوفة في عام ٢١هـ^(٣) ، فلما كثر المسلمون بالكوفة احتاجوا إلى أن يزدادوا في النواحي التي كان خراجها مقسوماً فيهم فُصِّرت لهم "الدِّينور"^(٤) ، وهي من الفتوح البصرية ، وعوّض أهل البصرة "نهادند"^(٥) .

لكن أهل البصرة كانت لهم مشاركة في فتح "نهادند" حيث جاؤوا مدداً ، وعليهم أبو موسى الأشعري^(٦) ، وقد اتجه قائدهم بعدها وفي العام نفسه إلى فتح "قم"^(٧) ، ووجه الأحنف إلى "قاشان"^(٨) ؛ ففتحها^(٩) ، في الوقت الذي

(١) انظر أخبار فتح خُراسان وإعادة الفتح في الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٣ ، ص ٢٦٢ ، ج٥ ، ص ٦٨ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص ٧ ، ١٥ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣٠٤ .

(٤) افتتحها أبو موسى الأشعري حينما قدم أهل البصرة مدداً لأهل الكوفة في "نهادند" . انظر

البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣٠٤ . ويقال للدِّينور : ماء الكوفة لأن مالها يحمل في أعطيات

الكوفة ، انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص ١٥ . والدِّينور في إقليم الجبال ، أو ما يعرف بالعراق

العجمي . انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٤٢ .

(٥) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣٠٤ .

(٦) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص ٣ .

(٧) قال ياقوت : "قُم" كلمة فارسية مدينة تذكر مع "قاشان" ثم قال : هي مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر

للأعاجم فيها ، وساق خبر فتحها نقلاً عن البلاذري على يد أبي موسى الأشعري . انظر ياقوت :

معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٧٩٣ .

(٨) "قاشان" في إقليم الجبال بالقرب من "أصبهان" . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٢٩٦ .

(٩) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص ٩ ، . وقد تمّ فتح "قم" و "قاشان" و "أصبهان" في أوقات

متقاربة من عام ٢١هـ . وعند ابن الأثير إنّ فتح "أصبهان" تمّ أولاً ، وعند البلاذري إنّ فتح ==

قصد فيه "يزدجرد" "مرو" ونزلها وبنى بها بيتاً للنار^(١) ، وكتب إلى خاقان ملك الترك ، وملك الصغد ، وملك الصين^(٢) .

وشهد يزدجرد التفافاً فارسياً قوياً حوله فشجعه ذلك على مكاتبة أهل البلاد المفتوحة للانتقاض على المسلمين ، واطمأن هو عند ماهويه مرزبان "مرو الشاهجان" ، وأمن من أن يؤتى^(٣) .

ولما أذن عمر للجيش الإسلامي أن يتحرك إلى خراسان بعد الإلحاح كان أهل البصرة هم جند هذا الجيش وعليهم الأحنف ، وقد دخلوا خراسان من "الطبيين" وفتحوا "هراة" عنوة^(٤) ، واستخلف الأحنف عليها صُحار بن فلان العبدي الربعي^(٥) ، وأرسل إلى "نيسابور" مطرف بن عبدالله بن الشخير العامري^(٦) ، وإلى "سرخس" الحارث بن حسان البكري الوائلي الربعي^(٧) ، وأما

== "أصبهان" هو الأخير . وقال البلاذري : إن أبا موسى وجه عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي إلى أصبهان ، ثم ذكر أنه وجهه أيضاً إلى "الطبيين" بواية خراسان . انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣٠٨ . ٣٩٤ ، وما ذكره البلاذري من أن القائد هو عبدالله الخزاعي وهم نبه إليه الطبري وقال : إن القائد هو عبدالله بن ورقاء الرياحي التميمي ، أمّا عبدالله الخزاعي فقد كان صبياً في عام ١٢ هـ . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٢٤٦ .

(١) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣١١ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٨١ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٢٦٤ .

(٣) انظر محمود شيت خطاب : قادة فتح بلاد فارس ، ص ٢٢٣ . حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم ، ص ٢٩٠ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ج ٣ ، ص ١٩ .

(٥) من بني عبد القيس الربيعة العدنانية ، والنسبة إلى عبد القيس عبدي ، وعقبسي ، انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٩٨ . وسيأتي الحديث عنه .

(٦) من بني عامر الهوازنية القيسية المضرية (من أهل العالية في البصرة) انظر ابن الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٢٣٤ .. وعده حسين حسن في كتابه أعلام قديم تميمياً (ص ٥٢٤) على خلاف المشهور من أنه عامري من هوازن .

(٧) من بني بكر بن وائل الربيعة العدنانية ينتمي إلى بني ذهل ، كان من ضمن وفد قومه إلى النبي ﷺ ، وقتل في معركة الجمل في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه . انظر ابن حجر : الإصابة ، ج ١ ، ص ٢٩٠ .

هو فقد اتجه إلى "مرو الشاهجان" حيث يقيم "يزدجرد" فما أن دنا منها حتى أخلاها "يزدجرد" ونزل "مرو الروذ"^(١) . فاستخلف الأحنف عليها حاتم بن النعمان الباهلي^(٢) ، وسار صوب "مرو الروذ" واضطر "يزدجرد" إلى النزوح منها إلى "بَلْخ"^(٣) .

وفي هذه الأثناء قدم إلى الأحنف مدد من أهل الكوفة^(٤) فوجههم إلى "بَلْخ" فكانت من فتوحهم بعد أن أخلاها "يزدجرد" فاراً إلى بلاد ما وراء النهر^(٥) . ولم يكن الأحنف ليتجاوز نهر "جيحون" قبل أن يأخذ رأي الخليفة عمر رضي الله عنه ، فكتب إليه بالنصر ، فُسِّرَ الخليفة وقال عن الأحنف : إنه سيّد أهل المشرق المسمى بغير اسمه، غير أنه أمره بالاعتصام على ما دون النهر ونهاه عن اجتيازه^(٦) .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٢٢٦ .

(٢) من بني باهلة القيسية المضربة العدنانية (من أهل العالية في البصرة) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٢٧ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٢٦٢ .

(٤) وكانوا على أربعة أمراء هم : علقمة بن النضر النضري . ورعي بن عامر التميمي ، وعبدالله بن أبي عقيل الثقفي ، وابن أم غزال الهمداني . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ١٦٧ . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٧١ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٢٦٢ .

(٦) لكن عمر قال أيضاً : لوددت أني لم أكن بعثت إلى خراسان جنداً ، ولوددت أنه كان بيننا وبينها بحر من نار . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٢٦٢ . وهذا يبين سياسته في التريث في الفتح بعد تكوين قواعد قوية ونقاط انطلاق .

(٧) قال عمر : لا تجوزن النهر واقتصر على ما دونه وقد عرفتم بأي شيء دخلتم فداوموا على الذي دخلتم على خراسان يدم لكم النصر وإياكم أن تعبوا فتنفضوا ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٢٦٣ . ولا شك أن الحق مع عمر في عدم التوسع في الفتح وبخاصة قد اتسعت رقعة البلاد المفتوحة . وطالت خطوط مواصلات المسلمين كثيراً وتوزعت قواتهم ، ولم يلبث "يزدجرد" أن عاد ومعه خاقان فذل ذلك على أن الخليفة كان حصيف الرأي بعيد النظر . انظر محمود شيت خطاب : قادة فتح بلاد فارس ، ص ٢٢٣ .

ولم يستقر الأمر طويلاً فقد عاد "يزدجرد" ومعه خاقان الترك ، ومدد من أهل "فرغانه" فجاءوا نهر "جيحون" كاريين إلى "بلخ" فتركها أهل الكوفة وانحازوا إلى الأحنف، فالتحم الطرفان من جديد حتى دارت الدائرة على "يزدجرد" مرة أخرى فعبر النهر مهزوماً، وصالح أهل خراسان الأحنف على بلادهم^(١) .

وبعد مقتل عمر رضى الله عنه انتقض الخراسانيون وقدم عليهم "يزدجرد" فنهض أمير البصرة عبدالله بن عامر بن كُريز لمقاتلتهم في عام ٣١ هـ ، وجعل على مقدمته الأحنف بن قيس قائد الفتح الأول^(٢) ، ووجه أمير بن أحمر اليشكري البكري الوائلي^(٣) إلى "قَهستان" ، والأسود بن كلثوم العدوي التميمي إلى "بيهق"^(٤) ، وفتح هو نيسابور صلحاً ، وولّى عليها قيس بن الهيثم السلمي ، وأرسل عبدالله بن خازم السلمي إلى "سَرخُس" ثم "هَرَاة"^(٥) . وقد تتابع فتح المدن الخراسانية صلحاً في وقت اندفع فيه الأحنف إلى "طُخارستان" في غرب خُراسان ، وعلى مقدمته الأقرع بن حابس التميمي فأتم فتح ما بقي

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٢٠ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٢٦٥ .

(٣) أمير بن أحمر من بني بكر بن وائل ويعد من قادة فتح خُراسان وأمرائها . انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٤٠١ .

(٤) الأسود بن كلثوم من بني عدي من الرّباب من تميم استشهد في "بيهق" ومعنى بيهق بالفارسية : الأجود وهي من نواحي نيسابور ، وأخرجت عدداً كبيراً من الفضلاء ، والعلماء ، والفقهاء ، والأدباء ، وعناها الحرّش بن هلال السعدي التميمي حينما رثى قُطن بن عمرو بن الأَهم التميمي بقوله :

أتاه نعيم يبتغيه فلم يجد بـ "بيهق" إلا جفن سيف وأعظما

انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٢٠ . ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٣٦ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٢٦٥ . وقيس بن الهيثم ، وعبدالله بن خازم من قادة الفتح وأمرء خُراسان .

من البلاد في العام نفسه ، وهو العام الذي هلك فيه "يزدجرد" في "مرو"^(١) .
 أهم القبائل التي شاركت في فتوح خراسان وبلاد ما وراء النهر واستوطنتهما:
 يمكن القول في ضوء أخبار الفتح أن فتوح خراسان الأولى كانت فتوحاً
 بصرية في معظمها ^(٢) ، وأن جيوش إعادة الفتح كانت مكونة من أهل البصرة
 كذلك ^(٣) ، وأهل البصرة هم أبناء القبائل التي استوطنتها بعد تمصيرها في عام
 ٢١هـ ^(٤) ، وكانت هذه القبائل مكونة من العرب الذين كانوا على صلة بأرض
 البصرة قبل الإسلام وهم : بنو تميم ، وبكر بن وائل ، وعبد القيس ^(٥) ،
 ويلاحظ أن أبناء هذه القبائل كانوا هم أصحاب الخطط حينما تم تخطيط
 "البصرة" ^(٦) ، فكان لبني تميم خمس ، ولبكر بن وائل خمس ، ولعبد القيس خمس ،
 وشاركهم الأزديون ، وأكثرهم من أزد عُمان ، في نزول البصرة فكان لهم خمس ^(٧)

(١) كان يزدجرد عند ماهويه مرزيان "مرو" فساعت الحال بينهما بسبب طلب يزدجرد أموالاً من ماهويه ، فتحول يزدجرد عن "مرو" ماشياً على شط نهر "الزريق" إلى أن آوى إلى بيت طحان فقتله . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٩٥ ، ياقوت : معجم البلدان ، مادة الزريق . وقيل : إن الطحان واسمه "خسرو" قتل يزدجرد طمعاً في ملابسه الفاخرة وجواهره ، ويعد يزدجرد الذي مات في عام ٣١هـ - ٦٥٢م آخر ملوك الدولة الساسانية . انظر حسن بيري : تاريخ إيران القديم ، ص ٢٨٠ ، ٢٩٠ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٢٦٤ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٦٠ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ١٥١ .

(٥) انظر عون هاشم : شعر البصرة في العصر الأموي ، ص ١١ .

(٦) انظر إحسان النص : العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي ، ص ٢٢٧ ، ماسنيون : خطط البصرة وبغداد ، ص ٢٤ .

(٧) كان عدد الأزد قليلاً في بداية تمصير البصرة بالنسبة لعدد كل من قبيلتي تميم وبكر ، وقد زاد عدد الأزد في مطلع العصر الأموي بعد أن قدمت أعداد من أزد السراة ونزلوا البصرة . ويرى شارل بلا : أن بني تميم هم المؤسسون الحقيقيون للبصرة وهم الذين أکسبها طابعها السني . انظر شارل بلا : المجاز في البصرة وبغداد ، ص ٤٥ . انظر إحسان النص : العصبية القبلية ، ص ١٧٢ .

ولأهل العالية ^(١) - وهم عدة قبائل سوادهم من قيس المضرية العدنانية - خمس ^(٢) .

وظلت خُراسان أشبه ما تكون تابعة للبصرة في نظامها الاجتماعي ، والقبلي من حيث ترتيب أمر نزول القبائل ^(٣) ، وفي نظامها الإداري على اعتبارها تابعة لإمارة البصرة في أزمان طويلة من عصر بني أمية ^(٤) . والقبائل التي استوطنت خُراسان هي القبائل التي شاركت في الفتح ، وسوادهم من قبائل البصرة .

غير أن خُراسان لم تشهد استيطاناً فعلياً قبل عصر بني أمية ، أمّا في العصر الأموي فقد استوطن العرب ، خُراسان وأخذوا شكل التنظيم المتبع في البصرة ، أي نظام الأخماس وأهل الأخماس - كما تقدم - هم : بنو تميم ، وبكر ابن وائل ، وعبد القيس ، والأزد ، وأهل العالية ، وقد مضى التعريف ببني بكر بن وائل ، الربعية ، العدنانية في العدد الخامس من الدرعية ^(٥) ، وسنمضي هنا إلى التعريف ببني تميم المضرية العدنانية ^(٦) .

(١) نسبة إلى عالية نجد ، وكان غالبية أهلها من القيسية المضرية العدنانية ، وأهل العالية في البصرة هم من القيسية ، ومن انضوى إليهم من أهل الحجاز من مكة والمدينة (قريش والأنصار) .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الملوك ، ج٦ ، ص ١٩٨ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ص ١٣٤ .

(٤) انظر صالح العلي : امتداد العرب في صدر الإسلام - بيروت ، ١٤٠٣هـ ، ص ٥ .

(٥) العدد الخامس من مجلة الدرعية ، المحرم ١٤٢٠هـ ، وكان للقبائل العربية بشتى فروعها في تلك

الحقبة إسهام حضاري متميز جنباً إلى جنب مع إخوانهم من أهل البلاد الأصليين [الدرعية] .

(٦) يُقال لبني تميم ولبني بكر بن وائل "الحفّان" لكثرةهما ، كما يُقال لهما "الغاران" ، والغار في الأصل

هو: القبيلة غير أن تيمماً وبكر بن وائل اختصتا بهذا اللقب ، قال الفرزدق :

ومنا الذي أعطى يديه رهينة لغاري معدٍ يوم ضرب الجماجم

أي لغاري العدنانية

انظر النقااض ، ص ١٢٦ .

بنو تميم :

ينتسب بنو تميم^(١) إلى المُضرية العدنانية التي هي العرب الشمالية المعروفة أيضاً باسم النَّزَارِيَّةِ المَعْدِيَّةِ^(٢) .

وبنو تميم قاعدة من أكبر قواعد العرب ، كانوا حُكَّام الحج ، وقضاة سوق عكاظ ، وأرباب الحكم فيه ، وكانت السدانة لهم قبل أن يتسلَّمها قُصي (الأب الخامس للرسول ﷺ) بسنين عدة^(٣) .

وقد بقي بأيديهم الإشراف والتصرف بحوض ماء عرفات، والسقاية منه، وما كان يُسمح بالاستفادة من الماء إلا بعد أن يأخذ زعيم بني تميم كفايته^(٤)، وبنو تميم من القبائل القليلة التي أخذت عنها اللغة العربية^(٥)، ولهم في مجال

(١) هم : بنو تميم بن مُر بن أد بن طابخة بن إلياس بن نزار بن معد بن عدنان ، انظر القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ٥٤ . وتميم أبو القبيلة مدفون ، كما عند ياقوت والحري ، في (مُران) ، وبه قبر عمرو ابن عبيد ، شيخ المعتزلة، ومُران الآن هجرة للرابعين من عُتَيْبَة، جنوب حَرَّة كُشْب، في عالية نجد ، انظر ابن جنيدل : عالية نجد ، ص ١١٦٥. وذكر الأزهري إن بلدة (بني مُر) في صعيد مصر لبني تميم . انظر ، الأزهري : بنو تميم ومكانتهم في الأدب والتاريخ ، ص ٩١.

(٢) نسبة إلى نزار بن معد بن عدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - انظر القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ١٥. ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٧ . قال الشيخ أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري في شرحه لديوان ابن صقيه التميمي : إن بني تميم هم الآخزون بمشارف الرقعة العربية وحيازتهما .

(٣) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٠٧. حسين حسن : أعلام تميم ، المقدمة .

(٤) انظر القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ٣١٧ . حسين حسن : أعلام تميم ، المقدمة .

(٥) انظر أحمد علم الدين الجندي : اللهجات العربية في التراث . عبده الراجحي ، اللهجات العربية في القراءات القرآنية . عبدالله البركاتي : النحو والصرف بين التميميين والحجازيين . ضاحي عبد الباقي ، لغة تميم . غالب المطلبي ، لهجة تميم ، سعيد عبد المنعم عليوه، لهجة تميم في تاج العروس (بحث مخطوط) . عبد الحميد أبو سككن ، اللهجات العربية إلى منتصف القرن الثاني الهجري مع دراسة موازنة بين لهجتي تميم وقرش (بحث مخطوط) . وفوزي يوسف الهابط ، خصائص لهجة تميم من خلال كتاب البحر المحيط (بحث مخطوط) . عبدالعزيز الأزهري : بنو تميم ومكانتهم في التاريخ والأدب ، وعبد الحميد المعيني ، شعر بني تميم في العصر الجاهلي .

الشعر شأن رفيع^(١).

وورد أن عاداً قبيلتان؛ الأولى: عاد إرم، وقد بادت وأصبح اسمها رمزاً للقدم، حتى قيل: مجد عادي، أي قديم، ونسبت إليها العاديّات (بتشديد الياء)، أي التي لا يُعرف عصرها، وعاد الثانية: بنو تميم، ومنازلهم في رمال عالج المتصلة بوبار^(٢). ومعنى "تميم" الشّدِيد، الكامل الخلق، قال جوري أوغست فالين يتحدث عن "قفار"^(٣)، وقد زارها في عام ١٨٤٥م: وفي تجوالي بين بدو الجهات الغربية من شبه الجزيرة كان هؤلاء يسألونني - ومثلهم المصريون، والسوريون - عن بني تميم، وعاداتهم، ولغتهم، وقاماتهم، وميزاتهم الأخرى، وهم يبدوون بالسؤال عن حجم بني تميم، وعمّا إذا كانت قامتهم أطول من قامة سواهم من العرب، وعمّا إذا كانت لحاهم أكثف، وأطول، ويبدو لي أن هذه الملاحظة تعود لمعنى كلمة "تميم" وكانت تطلق في الأصل القديم على رجلٍ قوي البنية، وهذه الملاحظة تصدق في القبيلة المذكورة^(٤).

(١) قال ابن سلام الجمحي: إن الشعر العربي بدأ في ربيعة "العَدَنانية" ثم تحوّل إلى قيس "المضرية العَدَنانية" ثم آل إلى تميم "المضرية العَدَنانية" نافيةً ما ينسب إلى اليمن "القحطانية" من الشعر، وتعرض الدكتور طه حسين، لهذا الموضوع فأنكر ما ينسب إلى اليمن من الشعر، كما فعل ابن سلام وزاد عليه بأن أنكر غالبية ما ينسب إلى ربيعة "العَدَنانية" وأبقى على الشعر المضري "التميمي والقيسي" أو ما سمّاه بمدرسة الشعر الأوسية، نسبة إلى أوس بن حجر التميمي، وارتفع الدكتور المعيني بهذه المدرسة إلى عهد علقمة الفحل التميمي وهو متقدم على أوس.

(٢) انظر الزركلي: الأعلام، مادة العين.

(٣) تقع "قفار" في سفح جبل أجأ، جنوب مدينة حائل، ولي بحث مخطوط عنها كتب مقدمته الشيخ أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري، رجحت فيه أن تكون قفار هي "الهيما" المورد الذي شهد إحدى وقائع تميم الكبرى في الجاهلية.

(٤) انظر قالين: صور من شمالي جزيرة العرب، ص ١٢٦. وقال قالين: هناك قسم كبير من هؤلاء البدو ذوي الماضي العريق يعيشون في ما بين النهرين، غير أن أكثر القبيلة - على ما يقال هنا - تنزل مع أنسابها من بني هلال، شمال أفريقية، وفي تونس خاصة.

وقال فالين : إن بني تميم هم "ارستقراطيو شمّر" ، وإن ابن رشيد مدين لهم بجميع انتصاراته ، وقال : إنهم يحجون في جماعات غفيرة إلى مكة ، وإن حجهم في سبيل الدين ، لا في سبيل الكسب كما هي غاية شمّر في الغالب ، ووصفهم بأنهم أشجع الفئات التي كان يتكون منها جيش ابن رشيد ، وأنهم أمهرهم في استخدام السلاح ، وأنهم يؤلفون القوة الأساسية في الجيش ، وقال أيضاً : إنهم يميلون إلى التباهي ، والزهو ، ومن معاني الزهو ، الكبر ، والخيلاء ، وقال : إن في قفار أكبر مخازن الذرة والتمر ، وإنه لا يسكنها سوى بني تميم وحدهم^(١) .
ولبني تميم وقائع جاهلية شهيرة في أرض حائل أبرزها ، الهيماء "قفار" ، وبُزَاخَة ، وزُرُود ، ووبال ، وأبضة ، وخو ، وأختال ، والأجول^(٢) .

ويُعد بنو تميم من أرحاء العرب الذين أحرزوا مياهاً وأراضي شاسعة وداروا عليها دوران الأرحية حول أقطابها في الوبر ، والمدر^(٣) ، وانتشرت فروعهم في أرض نجد الفسيحة بعد التحول عن أرض الحجاز فعرفتهم عالية نجد ، واليمامة^(٤) ،

(١) انظر قالين : صور من شمالي جزيرة العرب ، ص ٩٠ ، ١٢٦ ، يقصد قالين إن في قفار أكبر مخازن التمر والذرة في بلاد الجبلين ، وحسب إحصائيات قالين فإن قفاراً هي أكبر البلدان في تلك المنطقة تليها : المستجدة ، ثم حائل .

(٢) لا تزال بزَاخَة تعرف باسمها القديم إلى يومنا هذا ، وهي في سفح جبل أجَا الشرقي بين حائل والغزالة ، وكذلك زُرود وهي في شمال شرق حائل ، كما إن أبضة تعرف باسمها القديم إلى الآن ، وهي في سفح جبل سلمى الشرقي ، وخو هي : الحوة الآن شرق سميراء ، ووبال هي : الوبالية : شرق الأجر ، في شرق منطقة حائل ، وأختال يطلق عليها الآن ختال ، شمال الزبيرة في شمال شرق منطقة حائل .

(٣) انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٨١٢ .

(٤) العالية اسم لما يلي الحجاز من نجد ، واليمامة بفتح الياء والميمين قلب جزيرة العرب ، وتسمّى جَوَا . انظر البكري : معجم ما استعجم ، ص ٨٣ ، ونسبت أصقاع كثيرة من الجزيرة لبني تميم : كرمل بني سعد "يبرين" ، وستار بني سعد ، وقاعة بني سعد ، وأحساء بني سعد ، وأجفار تميم ، وجُفَر بني سعد ، وجُفَر الرِّباب ، وحزن بني يربوع ، وجُفَر بني العنبر "فلج" .

ثمَّ الدَّهْناء^(١)، والصَّمَّان^(٢)، وسائر بلاد البحرين (شرق الجزيرة العربية^(٣)) ، وأرض الحزن المنسوب إلى بني يربوع منهم ، وجاء الإسلام وتميم تحل أوسع رقعة في بلاد العرب^(٤) .

وجرى لبني تميم في هذه المواطن أيام مع القبائل الوائلية الربعية العدنانية؛ كبكر، وتغلب ، وأيام مع القبائل القيسية المضرية العدنانية كغطفان، وهوازن ، وأيام مع القبائل اليمانية ؛ كَمَذْحَج، وطِيئ . واصطدمت تميم بالفرس في الجاهلية ، وهاجمت قوافلهم ، ومنعت تغلغل سراياهم في أرض الجزيرة العربية^(٥)، كما التحمت بجيوش بني المُنْذَر ، أمراء الحيرة ، وآل غَسَّان ، أمراء الشام ، وحازت

(١) في جزيرة العرب رمال كثيرة من أشهرها الدهناء . انظر البكري : معجم ما استعجم ، ص ٧٤ . والدهناء تمتد من الأفلاج شرقاً وتذهب مشملة آخذة ما بين الصُّلب شرقاً والعرمة غرباً حتى تجتاز جبلي أجا وسلمى وتقف قريباً من تيماء ، تضيق في بعض الأماكن فيبلغ عرضها ٢٢ كيلاً ، وتتسع فتبلغ ٩٩ كيلاً أحياناً . انظر عبدالله بن خميس : معجم اليمامة ، ص ٤٣٨ .

(٢) تقع الصَّمَّان شرق الدهناء جنوب الباطن في شمال شرق جزيرة العرب ، وهي لأخلاق تميم والرباب . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٨٠ .

(٣) البحرين: اسم جامع لبلاد على ساحل البحر بين البصرة، وعُمان قصبتها هجر . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٤٦ . وهي تشمل ما يعرف بالمنطقة الشرقية في البلاد السعودية، والكويت التي تضم أواره ، وبرقان ، وشبه جزيرة قطر . انظر حمد الجاسر : معجم المنطقة الشرقية ، ص ١٧ وقديماً كانت الصَّمَّان، والدهناء داخلتين في مسمى البحرين .

(٤) الحزن من أشهر مراع العرب، قال البلدانون القدماء: هو بين فيد (الواقعة شرق جبل سلمى) والكوفة. انظر ياقوت معجم البلدان، والبكري معجم ما استعجم، ولبني تميم وقائع من أشهر أيام العرب في الحزن؛ كيوم أخثال، وزبالة ، وذات الشقوق ، وأعشاش ، وفي جنوب الحزن تقع زرود، والأجفر وهي من مناهل تميم في القديم، وفي تحديد موقع حَزْن يربوع ينظر حمد الجاسر، معجم شمال المملكة ، مادة الحزن.

(٥) انظر كاستر: مكة والحيرة وصلتهما بالقبائل العربية، ص ٤٨، المعيني: شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص ١٥ .

على منصب الردافة عندهما^(١)، وشهد عدد من ملوك الغساسنة مصارعهم بسيوف بني تميم كالهرماس الغساني الذي قتله صياد الفوارس التميمي، في "كنهل"، والمحرق الغساني الذي قتله زيد الفوارس التميمي في "بزاحة"، وكأبي الهرماس، وابن طيبة اللذين قتلتهما بنونهشل في يوم "الترويح"، وكالحارث الغساني، والد المحرق الذي قتله بنو ضبة في يوم "إضم".

وتُعد أيام تميم مع بكر بن وائل من أكثر أيام هاتين القبيلتين في الجاهلية، ومن أكثر أيام العرب، وقد وقعت هذه الأيام في أماكن عدة، في عالية نجد، وفي اليمامة، وفي شمال الجزيرة، وشرقها، وعُرفت هذه الأيام بأسماء الأماكن التي حدثت بها كيوم: الوقيط^(٢)، والشَّيْطِين^(٣)، والأَيَاد^(٤)، ومُبايِض، والنَّبَاج، وثَيْتَل، وطويلع، وثيرة^(٥).

(١) الردافة هي: أن يجلس الملك ويجلس الردف عن يمينه فإذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس وإذا عادت كتيبة الملك أخذ الردف المربع (ربع الغنيمة)، وكانت ردافة بني المنذر لبني يربوع من تميم لأنه لم يكن في العرب أكثر إغارة على ملوك الحيرة منهم فصالحوهم على أن يجعلوا لهم الردافة ويكفوا الغارة عن أهل العراق، أما ردافة بني غسان فكانت لبني زُرارة من تميم انظر الجوهري: الصحاح، ط ١، ١٣٧٦هـ، مادة ردف.

(٢) الوقيط في أعلى بلاد بني تميم قريب من اللصافة في شمال شرق جزيرة العرب. انظر البكري: معجم ما استعجم، ج ٤، ص ٣٨٢. ويفهم من الشعر الذي قيل في هذه الوقعة أن الوقيط تقع بين فلج (حفر الباطن) ولساف (اللسافة).

(٣) تشنية شَيْط انظر ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٨٥، والشَّيْطَان واديان يعرفان بهذا الاسم إلى الآن في شمال شرق جزيرة العرب. انظر حمد الجاسر: معجم المنطقة الشرقية، ص ٩٤٠.

(٤) وقد يُقال له: يوم أعشاش، ويوم الأفاقه، ويوم العظالي، ويوم مَلِيحة، وكلها أسماء مواضع متقاربة بين أراضي تميم وبكر بن وائل. انظر البكري: معجم ما استعجم، ج ١، ص ١٧١. ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٢١، ٢٢٦، ٢٨٧، وهذه المواضع في حزن يربوع، من تميم بقرب حدود البلاد السعودية عندما تلتقي بحدود العراق. انظر حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، ص ٩٨، ١٥٤.

(٥) مبايض لا تزال تعرف بهذا الاسم في سدير بنجد، وفي هذه المعركة قُتل طريف بن تميم (فارس بني تميم) قتله حمصصة الشيباني البكري الوائلي، انظر ابن خيمس: معجم اليمامة، ج ٢، ص ٣٢٦.

أما أيام بني تميم مع القيسية المضرية فأشهرها : يوم جَبَلَة^(١) ، وذي نَجَب^(٢)، والمرّوت مع بني عامر بن صَعَصَعَة من هوازن القيسية ، ويوم الصرائم ، وثنية أقرن ، وكثر فخر تميم بوقائعهم مع قيس، وإن كانوا ربما افتخروا بالقيسية للرابطة المضرية التي تجمع تيمماً وقيساً كقول الفرزدق :

إذا غضبت يوماً عرابين خُندف وإخوتهم قيس عليها حديد
حسبت أن الأرض يرعد منها وصم الجبال الحمر منها وسودها
وإن الذي يرجو تيمماً وعزها كباسط كف للنجوم يريدها

ومن أيامهم مع القيسية أيضاً يوم الفُروق^(٣) مع بني عبس من غطفان القيسية المضرية^(٤) .

== والنباج وثبتل، وطويلع ، وثبرة تقع في الشواجن في أسافل الصمّان، والنباج وثبتل هما : ما يعرفان الآن باسم قرية العليا وقرية السفلى، وطويلع هي الضبعيات في رأي الشيخ حمد الجاسر، وثبرة هي وبرة. انظر حمد الجاسر، معجم المنطقة الشرقية.. وقد أحصيت ما يزيد على خمسين يوماً من وقائع تميم ويكر في البحرين (شرق الجزيرة) وتناولت بعضها بالشرح والتعليق في ضوء ما ورد في المصادر عنها وذلك في محاضرة بعنوان : وقائع هامة في البحرين في العصر الجاهلي ألقيتها في الدمام في ١٨/١٠/١٤١٧هـ.

(١) جبلة من أعظم أيام العرب في الجاهلية ، وجَبَلَة (موضع في عالية نجد) . انظر البكري : معجم ما استعجم ، ج١ ، ص ٨٠ ، وابن عبدربه : العقد الفريد ، ج٦ ، ص ٩٨ .

(٢) ذو نجب ، والمرّوت في عالية نجد ، انظر ياقوت : معجم البلدان ج٢ ، ص ١٢٨ ، ج٥ ، ص ٢٤٩ ، ومن أيام تميم : الصمّد ، وأود ، وأعشاش ، ومليحة ، والعظالي ، والغبيط ، والثعالب ، وقشاوة ، وكل هذه الأيام في حزن يربوع ، في شمال شرق حائل .

(٣) الصرائم ، وثنية أقرن ، مواضع بالدهناء ، والفروق في شرق الجزيرة (البحرين) ، انظر ياقوت : معجم البلدان ، ص ٩٠ ، ١١٥ ، ٢٨٠ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٦ ، ص ٩٨ . ولا تزال الفروق تعرف باسمها القديم إلى يومنا هذا ، انظر حمد الجاسر ، معجم شرق الجزيرة ، مادة قو ، والفروق .

(٤) انظر أخبار هذه الأيام في ابن الأثير : الكامل ، ج١ ، ص ٢٥٨ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٦ ، ص ٩٩ .

هذا في حين يعد يوم الكلاب الثاني^(١) من أشهر أيام تميم مع اليمانية ، وقد جاء بعد يوم الصفقة الذي غدر به كسرى بالتميميين^(٢) ، بعد استيلائهم على قافلة له إلى اليمن كانت بخفارة هُوذة بن علي الحنفي البكري الوائلي ، الذي يقال له : هُوذة الوهاب^(٣) .

وأشهر أيام تميم مع المناذرة يوم أواره^(٤) ، وطخفة^(٥) ، ومع الغساسنة يوم كنهل^(٦) . ولكثرة وقائع بني تميم وغزواتهم في الجاهلية قيل: لو تأخر الإسلام لأكل بنو تميم الناس .

(١) الكلاب : موضع في عالية نجد وقعت به معركة بين بني تميم ومَذْحِج . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٥٨ ، ابن الأثير : الكامل ج١ ، ص٣٧٩ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص١٦٩ .

(٣) هُوذة بن علي زعيم حنفي ، بكري ، وائلي شهير ، ألبسه كسرى التاج حين وفد عليه ليغريه بالإيقاع ببني تميم الذين سطوا على قافلة كسرى وقتلوا الأساورة ، وأسروا هُوذة نفسه في يوم (نطاع) الذي ترتب عليه أن أوقع المكعب (عامل كسرى على البحرين) ببني تميم في حصن المُشَقَّر بهجر انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص١٦٩ . وفي "نطاع" حدثت وقعة أخرى بين تميم وتغلب و"نطاع" لا يزال يعرف باسمه إلى يومنا هذا في المنطقة الشرقية بالسعودية .

(٤) أواره جبل لبني تميم حرّقه به عمرو بن هند بعد أن أغراه عمرو بن ملقط الطائي بذلك ، وكانوا قد قتلوا أخاه . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج١ ، ص٣٣٤ ، ولا يزال هذا الموقع يعرف باسمه القديم مع قليل من التحريف ، وهو بقرب حقول النفط الكويتية ببرقان . انظر حمد الجاسر : معجم المنطقة الشرقية ، ص١٧٩ . وترتب على يوم أواره يوم الهييماء في الجبلين انتصرت فيه تميم على طيئ، والهييماء مورد قديم في بلاد الجبلين استنتجت أن يكون هو "قفار" في كتاب ألفته عن هذه البلدة .

(٥) طخفة موضع في عالية نجد انتصر فيه بنو يربوع من تميم على آل المنذر ملوك الحيرة ، قال جرير :

وقتلنا جبابرة ملوكا وأطلقنا الملوك على احتكام

يشير في الشطر الأول إلى يوم "كنهل" مع الغساسنة ، وفي الشطر الثاني إلى يوم "طخفة" مع المناذرة . انظر ديوان جرير .

(٦) كنهل في شرق الجزيرة وفيه قتل صياد الفوارس التميمي الهرماس الغساني من ملوك الشام فقال مالك بن نويرة التميمي :

لقد علم الهرماس أن سيوفنا تفلق في هام الملوك وتنشب

انظر ابن عبيد ربه : العقد الفريد ، ص٦ ، ٧٨ . حمد الجاسر : معجم شرق المملكة ، مادة الكاف .

وكانت راية تميم، في الحروب، على صورة العُقاب^(١)، كما كانت راية بني أسد، أهل الجبلين القدماء^(٢) على صورة الأسد .

وتغنى ابن مقروم التميمي بيوم "بزاحة" في قصيدة بائية وردت في المفضليات، وذكر مصرع ملوك بني غسان على يد تميم ، وهزيمة تميم لطبئ في "أبضة" " بجبل سلمى" (فرير ، ويحتر ، ومعن ، وجديلة ، وعميرة ، والصِّلْحَم) ، ويوم جُرَاد ، وأسر تميم لرعيم غطفان، الأحق المطاع، عُيينة بن حصن الفزاري^(٣)، وفخر الفرزدق بوقعة "بزاحة" بحائل وقتل تميم للملوك، ومن ذلك قوله :

إِنَّا لَتَقَالُو الْمُلُوكَ إِذَا اغْتَدُوا عِلَاتِيَةِ الْهَيْجَا وَلَا نَحْسَنَ الْعَذْرَا

ونقل أبو سديرة أنَّ بني تميم وفدوا على النبي ﷺ في المدينة من "فيد" و"قفار"^(٤) وفي أخبار السيرة ورد أنه - عليه السلام - قال للأقرع التميمي: أبطأ قومك عن الإسلام فقال الأقرع : ما أبطأ قوم عندك منهم ألف رجل^(٥) يشير إلى مُزينة التميمية "بني عثمان" المعدودين في حرب الآن^(٦) .

(١) انظر المفضل الضبي : المفضليات ، ٣٤٧ ، وبزاحة تقع في سفح جبل أجأ الشرقي ، في الطريق المتجه من حائل جنوباً إلى الغزالة، وفي بزاحة قتل بنو تميم الملك الغساني "المحرق" وأسروا أخاه .
(٢) كان الجبلان "أجأ وسلمى" لبني أسد حتى حلت عليهم طيئٌ فحالفتهم . ولم يبق الآن لأسد في الجبلين بطن يُعرف إلا أنَّ يكون من بطونها من دخل في التكوينات العشائرية الحديثة وجُهل اسمه ، ولي بعض الاستنتاجات حول هذا الموضوع في بحث لا يزال مخطوطاً عن القبائل التي تؤخذ عنها لغة العرب : تميم ، وهذيل ، وأسَد .. ألخ .

(٣) انظر المفضل الضبي : المفضليات ، ص ٢١٨ .

(٤) انظر أبو سديرة : حائل في عصر صدر الإسلام ، ص ٥٨ .

(٥) قال الرسول عليه السلام للأقرع : كيف علمك بقومك ؟ قال : كنانة كاهلها ، قرش مصابيحها ، وقيم هامتها العظمى ، وأسَد لسانها ، ولما حكم الأقرع في الجاهلية أنَّ بجيلة نزارية عدنانية قال : إنَّ أخس بني نزار "العدنانية" أشرف من أفضل قضاة ! وكان يغالي في حب قومه !

(٦) قال العباس بن مرداس السلمي :

صَبَحْنَاهُمْ بِأَلْفٍ مِنْ سُلَيْمٍ وَأَلْفٍ مِنْ "بَنِي عُثْمَانَ" وَافٍ

وأعطى النبي ﷺ الأقرع مئة من الإبل في إحدى الغزوات، ويقال للأقرع ولأخيه مرثد: الأقرعان، وهما قادة فتح "الطالقان" و "الجوزجان" في خراسان، وكان لهما عقب هناك.

وكاتب النبي ﷺ المنذر بن ساوى التميمي^(١)، ملك البحرين، وصحبه عليه السلام من تميم سلمى بن القين، وحرملة بن زفر التميميان^(٢)، واختص عياض بن حماد ب صداقته، وصحبته، وهو من خيار الصحابة، من ولد سفيان بن مجاشع التميمي، وأقطع الرسول ﷺ الحُصين بن مُشتم ماء من مياه تميم.

وحرملة التميمي، الصحابي، ينتمي إلى بني العُجيف الذين ينتمي إليهم - بالولاء - أبو اليقظان النسابة^(٣)، وحرملة هو: ابن مُرَيْطَة (زفر)، وأخوه وبرة بن زفر، وقد قُتل بالرّي " (بقرب طهران الآن) شهيداً، والعُجيف عشيرة، الفارس المغوار، الحنُتف بن السّجف، المرثي بقول الشاعر:

تَبِكَ تَمِيمٌ شَبِيهَا وَشَبَابُهَا عَلَيَّ "حَنْتَفٌ" وَالْخَيْلُ تُدْمِي نَحْوَهَا
وَتَبِكَ رِجَالٌ مِنْ قَرِيْشٍ أَصَابَهَا بِـ "يَثْرَبٍ" حَزَنٌ قَدْ أَحْرَتْ صَدْوَرَهَا

(١) المنذر: من ولد عبدالله بن دارم، من حنظلة، من تميم كما في أنساب الأشراف للبلاذري وغيره، وروهم من نسبه إلى عبدالقيس، والبحرين تشمل المنطقة المحصورة فيما يبرين جنوباً إلى كاظمة شمالاً، ويدخل في مسماها الدهناء، والصّمان.

(٢) هو: حرملة بن زُفر بن شيطان بن حُبَيْش بن حزن بن العجيف بن ربيعة بن مالك بن حنظلة بن تميم. انظر البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١٢، ص ١٤٣.

(٣) أبو اليقظان النسابة من موالي تميم وله كتاب، نسب تميم، وحلف تميم، وقد عُرف في موالي تميم علماء كبار، وقادة أبطال كابن المبارك المروزي، وآل السمعاني المرازدة، والفراء، والأخفش، اللغويين، وفيروز مولى بني العنبر.

وكان الحنثف قد سَمَّ بوادي القرى بعد أن أنقذ مدينة رسول الله ﷺ في وقعة "الرَّيْذَة" ، وفَرَّ من أمامه الحجاج بن يوسف ، وأبوه^(١) .

وللأقرع وقائع جاهلية منها يوم نجران^(٢) ، ويوم زُبالة^(٣) ، وله عقب بخُرَاسان^(٤) ، وثبت الأقرع مع القعقاع بن مَعْبُد "تيار الفرات" على الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ^(٥) ، وكان قيس بن عاصم قد حَدَّث النبي - عليه السلام - بأنَّ تميماً علمت بقرب ظهوره - عليه السلام - من سفيان بن مجاشع التميمي ، وكان سفيان هذا يزور الشام ، وهو من حَكَّام عكاظ ، ومن زعماء تميم البارزين ، ومن ولده مسكين الدارمي ، من أشرف أهل العراق ، وهُرَيم المجاشعي فارس خُرَاسان ، وابنه التُّرْجَمان بن هُرَيم ، والي الأهواز ، أحد الأوفياء الفرسان

(١) السَّجْف التميمي من أشرف حنظلة ، قُتِل في وقعة الجمل مع عائشة ، وابنه الحنثف طامة كبرى ، وشجاع جبار أدرك جبيش بن دلجة القيني بـ "الرَّيْذَة" بجيش عراقي ، أيام ابن الزبير ، وقتله ، وهزم جيشه ، وفيه الحجاج وأبوه ، وقد فرَّ هارين ، وسار الحنثف ليهدم عرش بني أمية في الشام لولا أن مات مسموماً بوادي القرى ، انظر البلاذري : أنساب الأشراف ، ج ١١ ، ص ١٤٣ ، حسين حسن : أعلام تميم ، ص ١٩٥ .

(٢) نجران هو : الموقع الشهير في جنوب الجزيرة العربية ، المدينة السعودية الآن ، وقد أصاب فيه الأقرع المتكلمين من حمير . انظر أبا عبيدة : أيام العرب قبل الإسلام ، ص ٤٥٨ .

(٣) زُبالة لا تزال تعرف باسمها القديم إلى يومنا هذا في شمال الجزيرة العربية ، في منطقة الحدود الشمالية بالمملكة العربية السعودية . انظر حمد الجاسر : معجم شمال المملكة ، مادة زُبالة .

(٤) انظر عن أخبار الأقرع مع الأحنف وصحبهما من تميم في حروب خُرَاسان : البلاذري في كتابيه ، فتوح البلدان ، وأنساب الأشراف .

(٥) قال في ذلك مالك بن نويرة التميمي :

تَمْشِي يا بن عَوْذَة في تَمِيم وصاحبك الأثير تلحيانسي
أراني الله بالنعم المنْدِي برقة "رحرhan" ما أرانسي

وحتى مالك بن نويرة لم يكن مرتداً ؛ بل قُتِل على الإسلام ، وقد تأوَّل خالد بن الوليد في قتله فأخطأ كما ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ، وابن عَوْذَة هو : القعقاع بن معبد .

الأسخياء . وسمى النبي عليه السلام قيس بن عاصم (سيد أهل الوير) حين قدم إليه مع وفد تميم في المدينة، وفي الجاهلية كان زيد الخيل الطائي قد سماه (الواحد الوهَّاب، قيس بن عاصم) في قصيدة مدحه بها^(١).

وقاد عمرو بن عدس^(٢) - فارس تميم - تميماً في حربها لطبيئ وفر من أمامه عمرو بن ملقط الطائي، في وقعة "الهييما"^(٣) في الجبلين بعد يوم "أوارة" وهي: وقعة طبيئ؛ قُتل فيها منهم بشر كثير، ولها أصداء في شعر علقمة الفحل، وأوقع عمرو بن عدس ببني عبس، قوم عنتر، في وقعة "ثنية أقرن" وقُتل بعدها، ثم إن ابنه قتل خالاً له من عبس بأبيه التميمي، وافتخر مسكين الدارمي بذلك في شعره، كما افتخرت تميم كثيراً بقتلها لبني عبس في يوم "الصرائم" بالدهناء . وعمرو بن عدس هو زوج دختنوس بنت لقيط بن زُرارة، فارس صدّام، وهو صاحب المثل المعروف "الصَيْفُ ضِيَعَتِ اللَّبَنُ" قاله بعد أن طلق دختنوس، وتزوجت دارمياً آخر من تميم، ولد دختنوس أشعار في "جَبَلَة" حيث مات والدها، وقد أقحم فرسه "الجرف" فوقصه، ومن ولد عمرو بن عدس، وكيع بن هلال، الذي كان على بني تميم الموالين لعائشة، وطلحة، والزبير في الجمل، وقد قتل في تلك الوقعة^(٤).

(١) قال زيد الخيل الطائي يمدح قيس بن عاصم التميمي :

إلى الواحد الوهَّاب قيس بن عاصم له قادحاً زندي سنان بن خالد

(٢) هو : عمرو بن عمرو بن عدس بن زُرارة، من دارم، من حنظلة من تميم، اسمه طارق وإنما سُمي باسم أبيه .

(٣) الهييما - مورد قديم في بلاد الجبلين رجحت أن تكون هي قفار الآن في بحث لي عن هذه البلدة الأثرية .

(٤) ومن أسخف ما جاءت به الشعبية هو أن "دختنوس" كانت زوجة لأبيها لقيط، وأسخف من ذلك ما

ذهب إليه ابن قتيبة - وهو شعوبي عريق - وإن كان يظهر غير ذلك، من أن آل زُرارة من دارم،

من تميم من كان على المجوسية .. وللمد التميمي الكبير في فارس، وخُرَّاسان أثر بلا شك في وجود

عدد من الحانقين من غلاة الشعبية على تميم الذين وجدوا في الكذب على هذه القبيلة تنفيساً لما في

صدورهم من غل، ومن جيد ما قيل في تميم قول لبيد بن ربيعة، أحد شعراء المعلقات :

وتربط قميماً بقريش صلة الانتماء إلى إلياس بن مُضر "خُندف" فضلاً عن أن برةً أخت تميم هي أم القرشيين ، وقد كثر افتخار التمايمة^(١) بهذه القرابة^(٢) ، وقال النبي ﷺ عن تميم "إنهم قومه"^(٣) .

على أن أشد ما يربطه - عليه السلام - بهم هو : علاقته ببني أسيد من بني عمرو من تميم^(٤) ، فقد تزوج عليه السلام خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - وكانت قبله عند هؤلاء القوم ؛ إذ كانت زوجة لأبي هالة الأسدي التميمي^(٥) من ذرية "غوي بن جروة" ، وله منها أبناء . كان الحسن بن علي

يرعون منعرج اللديد كأنهم
متظاهر حلق الحديد عليهم
قوم لهم غرفت ربيعة كلها
في العز أسرة حاجب وشهاب
كيني زارة ، أو بني عتاب
غضب الملك ، وبسطة الأرياب

(١) استخدم هذه النسبة إلى تميم المزروع في الأزهر في كتابه " بنو تميم ومكانتهم في التاريخ والأدب " في فصل بعنوان "في فتوة التمايمة" .

(٢) ولهذا نماذج كثيرة في شعر جرير ، والفرزدق .

(٣) قال ذلك كما في صحيح البخاري ومسلم: حينما وردته صدقتهم، وقال عليه السلام: إنهم أشد أمة محمد على الدجال .

(٤) يكثر بنو عمرو بن تميم الآن في بلاد الجبلين "منطقة حائل" ، في قفار وما تفرع منها من البلدان ، كضرط "ضرغد" والغزالة ، والمستجدة ، وسميراء ، والروضة ، والسبعان ، وجنيفاء ، وقصر العشراوات ، والسُّلُيمي ، ووسيطاء الحفن ، وغضور ، قال محمد آل الشيخ مبارك من قصيدة يعارض بها الدكتور غازي القصيبي :

فما "قفار" سوى أنموذج لبني عمرو تميم غاهم للعدو وجا

وفي قفار كان الشيخ القاضي عثمان بن منصور الناصري ، قد تولى القضاء فترة من الزمن ، وله إسهامات كبيرة في العلوم الشرعية ، والأدب ، والأنساب ، والتاريخ ، وله عن تميم أخبار كثيرة ، وينتمي أغلب أصحاب المضافات من الكرماء المشهورين والأعلام البارزين في أرض الجبلين "حائل" إلى تميم ، كالحوير ، وابن لحيدان ، وابن ربيعان ، والقبالي ، وعثمان بن دؤاس .

(٥) هو الصحابي : أبو هالة : زُرة بن النُبَّاش بن وقدان بن حبيب بن سلامة بن غوي بن جروة بن أسيد ابن عمرو بن تميم . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٢٧ .

"رضي الله عنه" ، ابن فاطمة الزهراء بنت خديجة يروي أوصاف جده النبي عن أحد هؤلاء الأبناء وهو : خاله هند بن أبي هالة التميمي^(١) .
 أمّا وسيط الخير في هذا الاقتران المبارك فهي: نفيسة الحنظلية التميمية ، إحدى الصحابيات التميميات الكريّمات ، وأخت الصحابي التميمي الكبير يعلى بن أميّة ، وقد مشّت بين خديجة والنبي ﷺ حتى اقترنا ببعضهما .
 ولبني أُسيّد ، وهم في الذروة من تميم وقائع جاهلية ، لعل أشهرها كان مع بني بكر بن وائل العدنانية ، القبيل الشهير ، ومنها ؛ يوم طويل^(٢) ، ويوم طحيل^(٣) ، وللباحث العراقي حسين حسن جهد علمي في تتبع أخبار تميم^(٤) ، ومن خيار المهاجرين من بني أُسيّد بن عمرو بن تميم ، صفوان بن مالك ؛ ابن أخي القعقاع ابن صفوان التميمي^(٥) ، ويقال لبني أُسيّد في عصرنا الحاضر: "الشُرُيفات"^(٦)

(١) انظر البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ١ ، ص ١٨٥ .

(٢) طويل هو : ما يُعرف الآن بـ "الضييعات" في رأي حمد الجاسر في كتابه معجم المنطقة الشرقية ، وفي رأي عبدالله بن محمد الشايع ، إن طويلاً غير الضييعات ، وإن كان غير بعيد عنها ، قال ذلك في بحث نشرته مجلة الفيصل ، وفي طويل امتنعت أُسيّد التميمية على المناذرة . ملوك الحيرة . وقتلت رسولهم وائل بن صريم البشكري البكري الوائلي . انظر حمد الجاسر : معجم المنطقة الشرقية ، مادة طويل .

(٣) طحيل يوم بين حنيفة البكرية الوائلية ، وبني أُسيّد بن تميم ، وبينهما وقائع أخرى في اليمامة .

(٤) وذلك في كتابه ، أعلام تميم ، وإن كان يؤخذ عليه إسقاطه لبني الرّباب من موسوعته .

(٥) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٠٩ . ومن أعلام بني أُسيّد : أكثم "حكيم العرب" ، ويحيى بن أكثم "القاضي" ، وسيف بن عمر "المؤرخ" ، وحنظلة بن الربيع "كاتب الوحي" ، وأوس بن حَجَر "شاعر تميم" ، ونافع بن الأسود "شاعر الفتوح" ، والقعقاع وعاصم أبناء عمرو بن مالك الأسيدي العمري التميمي ، وسيأتي التعريف بهم جميعاً .

(٦) يوجد الشُرُيفات "بنو أُسيّد بن عمرو بن تميم" في العراق ، وإيران . انظر الأزهري : بنو تميم ومكانتهم في الأدب والتاريخ ، ص ١٨١ .

نسبة إلى "شريف بن جروة"، أخي "غوي بن جروة"، صاحب إتاوة هوازن^(١).

ولتميم إسهام كبير في الفتوحات الإسلامية، وسُمّت تميم يوم "القادسية"، المعركة الفاصلة في تاريخ الإسلام، يوم "الفيول"، سمّاها بذلك شاعرهم؛ ربيعة ابن مقروم التميمي، المتقدم ذكره، وهو أحد شعراء مُضَرّ المعدودين، حين قال:

وشهدت معركة "الفيول" وحولها أبناء فارس كالأعبل

ولعبدة بن الطبيب السعدي التميمي قوله في القادسية:

يقارعون رؤوس العجم ضاحية فوارس فيها لا عزل ولا ميل

وفارس القادسية، دون منازع، هو: زهرة بن الحوية التميمي، قاتل الجالنيوس. ولربيعه بن مقروم فخریات تميمية طويلة أشهرها بانيته المتقدم ذكرها، وميميته التي يذكر بها "بُزَاخَة" بأرض الجبلين، وأياماً تميمية أخرى، كذات السُّلَيم، وجُراد، والكُلاب الأول، والنسَّار (المشاطرة)، وطِخْفَة، قال ابن مقروم في ميميته، وهي في المفضليات يذكر الكرم، والشجاعة، والمعارك، والخيال الجياد:

طوال الرُّمّاح، غداة الصباح ذوو نجدة يمنعون الحرما

فدى بـ "بُزَاخَة" أهلي لهم إذا ملأوا بالجموع الحزما

ولولا فوارسنا ما دعت بـ "ذات السُّلَيم" تميم تيمما

وفي "بُزَاخَة" قتلت تميم الغساسنة، ملوك الشام، وذكر الفرزدق بُزَاخَة،

(١) كانت إتاوة هوازن تدفع لغوي بن جروة التميمي إلى أن قتله ذو العبرة، وقيل: إن من أسباب يوم "جَبَلَة"، وهو من أعظم أيام الجاهلية، إن القيسية المضربة امتنعت عن دفع الإتاوة لخندف المضربة، ولتميم بالذات، والأرجح أن جبلة: مترتب على يوم "رحرحان" .. وبعد "غوي بن جروة" كان ابنه سلامة علماً بارزاً في تميم.

(٢) انظر نوري القيسي: شعراء إسلاميون، ص ٢٠١.

وأُتِيبَ في ذكر ذلك اليوم، وفرسانه، كما هزمت تميم الغساسنة في يوم "إضم"، ويوم "الترويح". وقتلت الهرماس الغساني وأخاه قيساً في يوم "كنهل" قتلتهما صيَّاد الفوارس^(١).

ونُسب رجال من تميم إلى الفروسية، والخيل، وإلى الرماح، والسيوف، وإلى المعارك وذلك، كصيَّاد الفوارس، وسم الفرسان، ومسور الخيل، ومكسر الرماح، وعمرو القنا، وزيد الفوارس، وذو المقانب، وأبو الفوارس، وعبس الطعان، وثعلبة الفوارس، وزيد المعارك، ومن وصايا أكثم بن صيفي، حكيم العرب، قوله لطِيئ: عليكم بالخيل فإنها حصون العرب، واشتهر في تميم فحول من الخيل العربية القديمة كذي العُقَّال، قال جرير:

إنَّ الجِياد يبتنا حول قبابنا من آل أعوج أو لذي العقَّال

ومن نتاج ذي العُقَّال، داحس، والغبراء من خيل تميم؛ لبني رباح بن يربوع من حنظلة ثم صاراً لعبس، ومن الشعر العربي الجاهلي ورد قول أحدهم:

وجدنا في كتاب بني تميم أحق الخيل بالركض المعار

وقال آخر:

ركبنا الخيل خيل بني تميم وجئنا إلى أسطبل عنتر

وفي تميم بيوتات عريقة شهّرت بالكرم الباذخ؛ كبيت آل زُرارة من دارم من حنظلة قال ابن الكلبي، أعز بيت في مُضر بنو زُرارة لكنني أكرههم!!^(٢)، وهذا البيت من بيوت الأُرسْطَراطِيّة العربيّة في الجاهليّة، والإسلام، ومن هذا البيت معبد بن زُرارة، وهو "تيار الفرات" لقب بذلك لسخائه، وكان يقال:

(١) انظر أبو عبيدة: أيام العرب قبل الإسلام، ص ٥٢١.

(٢) انظر ابن عبدربه: العقد الفريد، ج ٣، ص ٢١٤.

لبنى حنظلة ، "حنظلة الأكرمون" ، ويقال لهم : الغرف لسخائهم .
وفي عهد بني أمية كان بنو طُهية - من تميم - وبنو القعقاع يتبارون في الإطعام ، وعقر الإبل في العراق ، وكان غالب بن صعصعة - جد الفرزدق - كريماً متلاًفاً ، وهو صاحب المعاقرة المشهورة مع سُحيم بن وُثيل الرياحي التميمي ، وكثيراً ما تصدى الخلفاء والولاة للمناجزة في الكرم بين بعض بني تميم وبعضهم الآخر ، وكان مُرة بن مُحكان التميمي كريماً ، شريفاً ، يُلقب بأبي الأضياف ، وكان التُّرجمان بن هُرَيم "والي الأهواز" مثلاً في السخاء ، والإنفاق .

وعُرف في تميم رجالٌ يُعد الواحد منهم بألف رجل ومن هؤلاء ؛ عاصم بن عُمير السعدي التميمي ، وقد يُقال له : السمرقندي وهو : "هزار مرد ، أي ألف رجل" ، ومنهم ؛ عباد بن الحصين ، من بني الحارث ، من عمرو ، صاحب مدينة عبادان ، وشهدت القادسية بطولات خارقة لفرسان من تميم منهم ، زُهرة بن الحويّة ، قاتل الجالنيوس ، وهلال بن عُلقة ، قاتل رستم ، وحنظلة بن الربيع ، قاتل ذي الحجاب ، والمنذر بن حسان قاتل مهران^(١) ، وقبل أن يصل جيش القادسية إلى العراق قادماً من المدينة المنورة حلّ في ضيافة بني تميم ثلاثة أشهر ، في أرض زرود .

وأُسهم فرسان من تميم بالقضاء على حركة الرّدة في اليمامة ، بعد وفاة النبي ﷺ ، وتولّى أحدهم ، وهو: سَمُرَة بن عمرو إمرة نجد بعد القضاء عليها ،

(١) أشرنا هنا إلى أبطال تميم الذين قتل بأيديهم قادة المَعارك من الفرس ، كَرستم ، والجالنيوس ، وإلّا

فإن بطولات تميم في القادسية أكثر من أن تحصر في هذه الأمثلة وقد قال شاعر معاصر :

ألم تقتلوا بالقادسية رستمًا وكنتم بهذي قارِ فحول الكتائب

وهو عنبري من بني عمرو ، واستشهد في وقعة اليمامة عبدالله بن المنذر ، من بني العنبر أيضاً ، وهو الذي يرد اسمه في أشعار المتأخرين من تميم كقصائد رميزان^(١) .

أمّا ردة البحرين فقد أسهم أبطال من تميم؛ كقيس بن عاصم مع العلاء بن الحضرمي، وفرسان من بكر بن وائل ؛ كثمامة بن أثال الحنفي "شيخ اليمامة" ، والمثنى بن حارثة في القضاء عليها .

وكانت أول صدقة وردت للمدينة بعد وفاة النبي ﷺ هي صدقة بني تميم أتى بها الزبرقان بن بدر ، وقد فرح أهل المدينة بذلك فرحاً لا يوازيه فرح ، وللزبرقان في هذا قصائد جيدة ، وللتميميين في وفائه ، وفي مسير قيس بن عاصم للقضاء على ردة البحرين أشعار رائعة^(٢) .

وقام التميمي الكبير الصحابي الجليل يعلى بن أمية الحنظلي بالقضاء على ردة ، خولان اليمانية قضاءً مبرماً ، ثم تولى إمرة اليمن للخلفاء ، وكان شرحبيل ابن حسنة التميمي من أصحاب الألوية الذين كلفوا بأمانة القضاء على الردة .

ومن سراة تميم ، وفرسانهم ، مجير الطير، الذي أسر حاتماً الطائي ، الذي

(١) للأستاذ أحمد العريفي كتاب اسمه : رميزان بن غشام التميمي ، وللدكتور سعد الصويان محاضرة عن رميزان وخاله جبر بن سيار ألقاها في الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالرياض ، وكان سَمرة بن عمرو العنبري التميمي قد أصبح والياً على اليمامة بعد رحيل خالد بن الوليد رضي الله عنه منها .

(٢) كبر أهل المدينة ، وفرحوا بوفاء الزبرقان ، وقال الزبرقان في ذلك :

وفيت بأذواد الرسول وقد أبت سعاة فلم يزدد بعيراً مجيرها

وقال الفرزدق :

وهم لرسول الله أوفى مجيرهم وعموا بفضل يوم بسر مجلل

انظر النقائض ، ص ١٢٣ .

تُنسب إليه الأساطير في الكرم^(١) ، وفي أخبار تميم ورد أن أحد ساداتهم ؛ وهو : طريف بن تميم ، مُلقب القناع ، كان كثير الغزوات ، مع أعبد بن فذكي السعدي التميمي ، وأبو الجدعاء الطهوي التميمي ، وإن هؤلاء أصابوا طيناً ، وأسروا حاتمًا ، ثم كانت لهم وقعة بـ "زَرُود" ثم في "ثأج" ، وأخيراً في "مبايض"^(٢) .

واعتنى المستشرق البريطاني كاستر بوقائع طريف بن تميم ، في بحثه عن تميم ، ومكة والحيرة ، وبخاصة قتل طريف للأساورة الفرس في الجاهلية ، في وقعة "الصُّليب" بـ "كاظمة"^(٣) ، وطريف عنبري ، تميمي ، من بني عمرو ، ومثله مجبر الطير التميمي ، ويضرب المثل ببني العنبر بالهداية فيقال : أنت في هذا البلد عنبري ! ويُنسب إلى العنبر مقطعات شعرية تُعد من أوائل الشعر العربي^(٤) .

وللمستشرق الفرنسي كليمان هوار ، عناية فائقة بشعر بني تميم ، وقد ترجم ديوان فارسهم ، سلامة بن جندل ، أحد وصّاف الخيل ، إلى الفرنسية ، ويحث طويلاً في قصة علقمة الفحل التميمي مع أم جندب الطائية ، وامرئ القيس ، وهي القصة التي بحثها طه حسين ، وأحمد الطاهر مكي ، والمعيني ، وعدد آخر من الباحثين .

وبعد يوم "الكلاب الأول" أجارت تميم عائلة امرئ القيس ، وكان مُجيرهم عطاردي سعدي ، وهو عَوِير التميمي ، وقد أبلغهم مأمْنهم في نجران ، ولما سار

(١) انظر الجاحظ : البخلاء ، ص ٤٨ .

(٢) انظر البلاذري : أنساب الأشراف ، ج ١٢ ، ص ٩٢ ، وتقع ثأج في البحرين "شرق جزيرة العرب" ، وبها ركبة لقمان الأثرية .

(٣) انظر كاستر : مكة والحيرة وصلتهما بالقبائل العربية ، ص ٢٠ .

(٤) انظر ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ، ص ٤٨ ، عبدالعزيز الأزهري : بنو تميم ومكانتهم في الأدب والتاريخ ، ص ١١٨ .

امرؤ القيس يستجير بالقبائل بعد مقتل قبيلة بني أسد المضرية العدنانية لأبيه حلّ في جوار الحارث بن شهاب التميمي، والد صيَّاد الفوارس، وأودعه دروعه، ولامرئ القيس أشعار كثيرة في مدح بني تميم وبخاصة بني عوف بن سعد عشيرة مجير آل امرئ القيس؛ عُور بن شَجَنَة التميمي^(١).

وحين قدم بنو تميم إلى الرسول ﷺ بالمدينة المنورة كان من أبرز ساداتهم في الوفد؛ القعقاع بن معبد، والأقرع بن حابس، على ما ورد عند الإمام البخاري، وقد شهد الأقرع فتح مكة، والطائف، وحنين، وكان القعقاع، أبرز زعماء تميم يومئذ، موضع ثقة الرسول ﷺ في يوم حنين، إذ كان عينه على أعدائه.

وكان للأقرع إسهام قوي في الفتوحات، وقد مات بـ (الجوزجان) مجاهداً في خُراسان مع الأحنف بن قيس التميمي في عام ٣١هـ ورُثي بقول الشاعر:

سقت مزن السحاب إذا استهلّت مصارع فتية بـ "الجوزجان"

إلى القصرين من رستاق خوط أقادهم هناك الأقرعان

وكما كانت تميم من أرحاء العرب فهي من الجمّاجم الشهيرة التي اكتفى كثير من أبنائها بالانتماء إلى فروعها لسعة بطونها وعظمتها^(٢).

ويقسم النسابون تميماً إلى بطون، وأفخاذٍ عدة هي: بنو عمرو الذين ينتمي إليهم بنو أُسيّد (قوم أَكْثَم بن صَيْفِي، حكيم العرب)^(٣)، وأبو هالة؛

(١) انظر أحمد الطاهر مكي: امرؤ القيس حياته وشعره، ص ٧١.

(٢) انظر ابن سعيد: نشوة الطرب، ص ٢١٠. والجمجمة من القبائل هي التي تستقل فروعها بأنساب خاصة.

(٣) من حكام بني تميم في عكاظ، ورؤسائهم في المعارك، مات في طريقه إلى الرسول ﷺ لبسلى وكان على تميم في حربها مع اليمن في يوم الكلاب الثاني، انظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٢١٠. وأُسيّد تصغير أسود عند تميم، وفي أَكْثَم نزل قوله تعالى: "ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله" النساء / ١٠٠.

زوج أم المؤمنين خديجة قبل الرسول ﷺ^(١)، وسيف بن عمر، المؤرخ^(٢)،
والشاعر أوس بن حجر^(٣)، وحنظلة بن الربيع (الكاتب)^(٤)، والقعقاع بن صفوان،
والقعقاع بن عمرو (ويلاحظ كثرة اسم القعقاع في تميم؛ كالقعقاع بن معبد،
والقعقاع بن ضرار، والقعقاع بن سويد، والقعقاع بن مقاتل، والقعقاع بن
شُبْرمة، وأشهرهم القعقاع بن معبد - رضي الله عنه - الملقب بـ (تيار الفرات)^(٥).

(١) ولأبي هالة أبناء من خديجة هم: الحارث، وهند، والطاهر، والزيبر، وكان الحسن بن علي رضي الله
عنه، ينقل أوصاف النبي ﷺ عن خاله هند ربيب النبي ﷺ وأخي فاطمة الزهراء، وقد قتل هند بن
أبي هالة في حرب الجمل، وهو في صف علي. انظر البلاذري أنساب الأشراف، ج ١، ٨٧، حسين
حسن، أعلام تميم، ٤٨٦.

(٢) سيف بن عمر أخباري عارف، وعمدة في التأريخ اعتمد الطبري عليه في حوادث صدر الإسلام
وسماه الدكتور سليمان العودة في كتابه "ابن سبأ" فاضح الزنادقة، وجمع أحمد عرموش روايته عن
الفتنة ووقعة الجمل في كتاب مستقل، وصدرت في عام ١٤١٨هـ الطبعة الثانية من كتابه الفتوح
والردة بتحقيق الدكتور قاسم السامرائي والطبعة الأولى من كتاب استشهاد عثمان ووقعة الجمل في
مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري للدكتور خالد الغيث.. توفي سيف قريباً من عام ٢٠٠هـ.
انظر سيف بن عمر: الفتنة ووقعة الجمل، ص ٢٧. ولكتاب هذه السطور بحث بعنوان "سيف بن
عمر المؤرخ المفترى عليه". في طريقه إلى أن يُصبح كتاباً منشوراً بإذن الله.

(٣) شاعر المضربة حتى ظهر النابغة وزهير فأصبح شاعر تميم فقط، وهو رأس مدرسة الشعر الأوسية.
انظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء: ص ٤٥، طه حسين، في الأدب الجاهلي.. وتناول المدرسة
الأوسية أو شعر الصنعة التميمية بالنقد والتحليل الدكتور شوقي ضيف، والدكتور يوسف خليف،
والدكتور الجادر، والدكتور عبد الحميد المعيني.

(٤) وحنظلة بن الربيع من كتاب الوحي، وهو قاتل ذي الحجاب الفارسي. انظر القلقشندي: نهاية
الأرب، ص ٤٠، حسين حسن: أعلام تميم، ص ١٥.

(٥) وفي بحيرة المنزلة، التابعة للدقهلية بمصر جامع يحمل اسم القعقاع بن عمرو، وقفت عليه في يوم
الخميس ١٣/١/٢٠٠٠م، فوجدت بجانبه قبر كتب حوله:

توسل يا أبا الحاجات تظفر بنيل القصد والخير العميم

فهذا صاحب المختار طه كريم من خيار بني تميم

مع أن التوسل بغير الله لا يجوز، وفي الجامع أخبار عن القعقاع هذا، أظنها مختلطة بأخبار
القعقاع بن معبد "تيار الفرات".

ومن بني أُسَيْدَ عاصم بن عمرو^(١)، وعمر بن يزيد (رجل العراق)^(٢) ،
ويحيى بن أكتُم (القاضي في عهد المأمون)^(٣)، وربيعي بن عامر (ربيعي بن
كأس، الأفكل) الذي ضبط سجستان للخليفة علي^(٤) .

وينتمي إلى بني عمرو أيضاً بنو مازن ، ومن هؤلاء قَطَرِيُّ بن الفُجاءة
(أحد زعماء وفرسان الخوارج في عصر بني أمية)^(٥) ، وأخوه جُرْمُوز ، ومالك
ابن الرِّيب (الشاعر الفاتك ، الذي ترك اللصوصية ، وشارك في جيوش خُراسان

(١) انظر عن أخبار هذين الفارسين الققعاق بن عمرو بن مالك وأخيه عاصم ، الطبري : تاريخ الأمم
والملوك ، ج٢ ، ص١٤٥ وقد جمع الدكتور نوري القيسي ، والدكتور حاتم الضامن شعرهما من عدد
من المصادر في كتاب "شعراء إسلاميون" ، وقدّمَا عنه دراسة أدبية قيّمة ، والققعاق وعاصم هما ابنا
عم نافع بن الأسود بن قطبة بن مالك (من شعراء الفتوح) ، من بني أُسَيْدَ من بني عمرو من قديم .

(٢) كان عمر من وجهاء أهل العراق ، وعُرف بمساندته لَهلال بن أحوز التميمي الذي أباد آل المهلب
(الأردبيين) بعد أن ثاروا على الخلافة الأموية في عهد يزيد بن عبد الملك .. وهو القائل عند هشام
ابن عبد الملك ما بدأت فتنة إلا باليمن قتلوا الخليفة عثمان ، وثاروا على الخليفة عبد الملك ، وما
تزال سيوفنا تقطر من دماء آل المهلب .

(٣) ينتهي نسب يحيى إلى أكتُم بن صيفي (حكيم العرب) ، وكان قاضي الدولة الإسلامية لمدة تزيد على
أربعين عاماً في عهد المأمون العباسي وبعده.. ومع شهرته في العلم والفضل والنباهة لم يسلم من
التشنيع عليه ، وقيل في سبب ذلك : إنّه ثنى المأمون عن إباحة نكاح المتعة.. وقال حسين حسن :
كان يحيى ذا فكاكة ، ودعابة فاستغل ذلك خصومه ، وحاسدوه ، فرموه بأنواع خبيثة من التهم لو
كانت حقاً لوجب أن ينكر وجوده قاضياً ، ومدبراً أهل المملكة أربعين عاماً. انظر حسين حسن : أعلام
تميم ، ٥٧٧ .

(٤) ربيع بن عامر من بني أُسَيْدَ من بني عمرو ، وأمه كأس من بني العنبر من بني عمرو ، أورد ابن
الكلبي سلسلة نسبه ، ووردت أخباره عند البلاذري في كتابيه أنساب الأشراف ، وفتوح البلدان ،
انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ص٢٥٨ .

(٥) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص٣٨٩ ، ج٤ ، ص٦٤-٦٩ ، ولهزاع بن عبد الشمري كتاب
اسمه قطري بن الفجاءة ؛ الفارس ، الشاعر ، صدر عن دار أجا للنشر بالرياض عام ١٤٢٠ هـ .

حتى مات به "مرو" (١) وعباد بن أخضر (٢) قاتل مرداس بن أدية التميمي (الذي ادعاه عدد من أهل الملل والنحل في العصر الأموي) (٣) .

وقد برز في بني مازن عدد من المشهورين كحاجب بن ذبيان ، من شعراء تميم المعدودين في خُراسان (٤) ، وسَلَم بن أَحْوز ، قاتل جَهْم بن صفوان به "مرو" ، وهلال بن أَحْوز الذي قضى على آل المهلب به "قنديل" (٥) .

وكان بنو مازن في جاهليتهم يقطنون في شمال جزيرة العرب ، في بطن قَلَج (٦) ، وما حوله ، بجوار أبناء عمومتهم من تميم ، ومن مشهورهم كان زُهَيْر بن عُرْوَة ، الشاعر الجاهلي الفارس (٧) ، ومن ذرية هذا عُرْف أبو الحسن ؛ النضر بن شُمَيْل اللغوي ، النحوي صاحب "مرو" ومن بني مازن أيضاً عمرو بن العلاء ، شيخ العربية والقراء (٨) .

(١) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ١١١ .

(٢) منسوب إلى زوج أمه ، وإلا فهو عباد بن علقمة بن عباد المازني مات سنة ١٦ هـ . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣٢ ، ص ٣٠٣ .

(٣) وهو : أخو عُرْوَة بن أدية أول من قال : لا حُكْم إلا لله في صفين . انظر الشهرستاني : الملل والنحل ، ص ١١٨ .

(٤) انظر المرتضى : الأمالي ، ج ٢ ، ص ١٠٥ .

(٥) انظر أخبار آل أَحْوز المازنيين في ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ١٧٥ ، وابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢١١ .

(٦) هو منطقة حفر الباطن في شمال البلاد السعودية الآن ، وكان يسكنه بنو مازن ، وبنو العنبر من بني عمرو بن تميم في الجاهلية وصدر الإسلام قال الراجز :

..... إِنَّ بَنِي الْعَنْبَرِ أَحْمُوا فَلَجَا

انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٩٨ ، حمد الجاسر : معجم شمال المملكة ، ص ١٤٢ .

(٧) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢١١ .

(٨) هو العالم ، اللغوي الشهير ، أحد القراء السبعة ، ومن بني مازن أيضاً ، سعد بن ناشب بن معاذ ، من فتاك تميم بالبصرة ، القاتل حين هدم أبو بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري داره :

عليكم بداري فاهدموها فإنها تراث كريم لا يخاف العواقبا

انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ١٢٢ .

ومن ينتسب إلى بني عمرو بن تميم بنو الهُجيم من أفخاذ بني عمرو، ومنهم الحلیم بن نُهيك، الذي ولي "كرمان" للحجاج بن يوسف^(١)، وواصل بن عليم (والي أصرخر)^(٢). ويذكر الطبري أن أولَ خارجي خرج بعد النهر هو : سهم بن غالب المنسوب إلى بني الهُجيم هؤلاء^(٣).

وأعجب بنو جندب بن العنبر بن عمرو^(٤) عدداً من أبطال تميم ، ورجالاتها، ومن هؤلاء ناشب بن بشامة ، وهو جاهلي^(٥) ، وسمرّة بن عمرو^(٦) (خليفة خالد ابن الوليد رضي الله عنه على اليمامة بعد حرب الردّة)، ورَقبة بن الحرّ ، من فرسان خُراسان^(٧) ، والهُذيل التميمي (والي أصبهان في أخريات عصر بني أمية)^(٨) ، وكان زعيم بني عمرو في وقعة الجمل هو : (أبو الجرباء) عاصم بن دلف .

وكما كان في بني تميم بطن يُعرف باسم بني الحارث ، الذين هم : الشُّقرات ففي بني عمرو بن تميم فخذ يُعرف ببني الحارث أيضاً ، وهؤلاء

(١) انظر ابن الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٢٧٦ .

(٢) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢١١ .

(٣) سهم بن غالب خرج في ولاية عبدالله بن عامر على البصرة ثم هرب إلى الأهواز حين قدم زياد إلى البصرة ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ص ١٧١ ، ٢٢٨ .

(٤) ومن ينتمي إلى هذا البطن آل بو سعيد حكام زنجبار ومسقط ، ومن مشهورهم ماجد بن سعيد التميمي ، وفيصل بن تركي البوسعيدي التميمي ، مات الأول في عام ١٢٨٢هـ ، والثاني في عام ١٣٣١هـ ، وآل بوسعيد من آل مزروع من بني عدي بن جندب من بني العنبر من عمرو بن تميم ، انظر حسين حسن ، أعلام تميم ، ١٦٧ ، ٤٣٦ .

(٥) انظر ابن عبدبريه : العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ٢٣٨ .

(٦) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ .

(٧) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢١١ .

(٨) الهُذيل بن قيس ولي أصفهان لمروان بن محمد ، انظر ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٢١٤ .

الأخيريون هم الحبطات ، أصحاب عبّاد بن الحصين^(١) ، صاحب شُرط مصعب ابن الزبير بالبصرة ، وقائد تميم في فتنها القبلية مع الأزد وربيعه في عام ٦٤هـ ، في وقتٍ كان الصراع القبلي فيه على أشده في خراسان بين بني تميم وعبدالله بن خازم السلمي (والي خراسان) ، وقد أنجب عبّاد عمراً وجهضماً ، ويلقب عمرو بمسور الخيل ، وهو من سادات تميم بالبصرة ، القائم بشؤونها أيام فتنة يزيد بن الوليد ، ومروان بن محمد^(٢) (١٢٦ - ١٣٢هـ) .

أمّا بنو الحارث بن تميم فمن مشهورهم المسيّب بن شريك ، فقيه ولد ومات بخراسان^(٣) عام ١٨٥هـ .

وينتمي إلى بني تميم بنو زيد مناة ، وهم بطون وأفخاذ كثيرة جداً أشهرها : بنو سعد ، وبنو حنظلة ، وأقلها عدداً بنو عامر ، وبنو امرئ القيس ، ومن بني امرئ القيس هؤلاء لاهز بن قُرَيط ، وقاسم بن مجاشع (تميميّان شهيران في خراسان)^(٤) ، من القائمين بدعوة بني العباس هناك ، وصالح بن مُسَرَّح ، من قادة الخوارج ، وكان يرى رأي الصُّفْرية .

(١) عبّاد بن الحصين بن عمرو كان يعدل بألف فارس وهو صاحب " عبّادان " المدينة الإيرانية المعروفة الآن وكانت قد سميت باسمه ، قُتل في كابل عام ٨٥هـ . انظر ابن الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٢٦١ ، وحسين حسن : أعلام تميم ، ص ٣٦٢ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٢٦ ، وابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢١٢ .

(٣) وبنو الحارث هؤلاء هم : الشُقْرات سموا بذلك لقول الحارث :

وقد أحمل الرمح الأصم كعوبه به من دماء القوم كالشُقْرات

وهم قليل كبني القليب بن عمرو ، (قوم الشاعر عتيبة بن مرداس) .

انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ١٨٥ ، وابن الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٢٩١ .

(٤) ومن هؤلاء : عدي بن زيد الشاعر ، (صاحب النعمان بن المنذر بالحيرة) ، وموسى بن كعب (القائم بدعوة بني العباس بخراسان) ، انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢١٤ .

ويقال لبني سعد بن تميم: "بنو سعد الأكثرون"، ومنهم عمرو وكعب المعروفون باسم البطون، وفي كعب العدد والشهرة، وأبناؤهم: الأجارب؛ تسعة بطون^(١)، والمزروعان؛ مالك وعمرو، وفي عمرو هذا بنو مقاعس: صريم، وعُبَيْد، وعُمَيْر^(٢)، والصريميون فيهم: عبدالله بن إباح (رأس الإباضية)، وعبدالله بن صَفَّار، (رأس الصُّفَرِيَّة^(٣))، والبرك بن عبدالله الخارجي، وبحير ابن وَرْقاء سيد تميم بخُرَاسان^(٤).

أما عبيد: ففيهم بنو منقر (قوم فِدْكيّ بن أعبد الفارس الجاهلي) والد مسَعَر بن فِدْكيّ (الخارجي الشهير)^(٥)، ومنهم قيس بن عاصم، وعمرو بن

(١) القلقشندي: نهاية الأرب، ص ١٦٢، ومن بني سعد السهيل، شيوخ بني تميم في العراق في عصرنا الحاضر، وأبرزهم حسن بن نجم بن سهيل، صاحب (عكركوف) وصاحب مضارب بني تميم، شمال بغداد، المتوفى في عام ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م، انظر حسين حسن، أعلام تميم، ص ٢٠٧.
(٢) ومن بني عُمَيْر بن مقاعس السُّلَيْك بن السلَكة (العداء الجاهلي الشهير)، انظر التفاصيل في ابن سعيد: نشوة الطرب، ص ٤٣٤.

(٣) انظر ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص ٢٣٦. والإباضية عُرِفَتْ أيام صاحبها ابن إباح التميمي في أواخر عهد بني أمية وهي: مذهب لا يُكْفَر أصحابها مخالفيهم من المسلمين ولا يعتبرونهم مشركين، ويحلّون مصاهرتهم، وأن دارهم دار توحيد، وقد انقسمت الإباضية إلى عدة أقسام، أمّا الصُّفَرِيَّة فقد خالفوا الأزارقة والنجدات والإباضية في أمور منها: "أنهم كفروا القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار، انظر الشهرستاني: الملل والنحل، ص ١٣٤ - ١٣٧.

(٤) ومن بني صريم أيضاً عَبْس وكُهْمَس وهما أخوان أولهما رأس تميم وأحلافها في البصرة في أحداث عام ٤٦هـ، والثاني: من أصحاب أبي بلال مرداس بن أدية. انظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٦٥، وابن الكلبي: جمهرة النسب، ص ٢٣٦.

(٥) ووالد أعبد بن فِدْكي. انظر ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص ١٥٠، ١٧١، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٢١٦، حسين حسن، أعلام تميم، ٩٨، ٥١٨، ومن بني منقر نصر بن مزاحم، صاحب كتاب صفين وهو من مؤرخي الشيعة القدماء. انظر عبدالعزيز نوري: أثر التشيع، ١٢٨.

الأهثم، وشبيب بن شيبه^(١)، ولهؤلاء عقب بخراسان كانوا سبباً في غضب تميم على قتيبة بن مسلم حتى قتله وكيع، ومن بني منقر: القعقاع بن سويد المنقري، والقعقاع بن مقاتل من ولد قيس بن عاصم، وتقدمت الإشارة إلى كثرة اسم القعقاع في تميم، وإن أشهر هؤلاء القعقاعة هو: القعقاع بن معبد، رضي الله عنه، المعروف بلقب (تيار الفرات)، ومن بني منقر محرز بن شهاب، من القادة المناصرين للخليفة علي.

وإخوة عبيد هم: زيد، وعامر، ومرة، وعبد عمرو، ومن بني مرة بن عبيد الأحنف بن قيس (فاتح خراسان)، وهو: أبو بحر، الأحنف بن قيس بن معاوية ابن حصين بن عبادة، وأمه حبة بنت عمرو بن قريط من بني باهلة (القبيلة القيسية، المضربة العدنانية)، وقد قُتل أبو الأحنف في الجاهلية قتله بنو مازن التميميون^(٢)، أما جده فقد قتله عنتره بن شداد العبسي^(٣)، وللأحنف اثنان من الأعمام، من سادة تميم، ومشهورهم الأول هو: المتشمس، والثاني صَعَصعة^(٤).

(١) قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر، سماه الرسول ﷺ سيد أهل الوبر، وهو من قادة تميم في الجاهلية والإسلام، أسهم في القضاء على حركة الردة، ومن ذريته مئة بنت مقاتل بن طلحة بن قيس (صاحبة ذي الرمة الشاعر)، وأبناء عمه الأهاتم: خطباء مشهورون منهم: عمرو بن الأهثم بن سمي بن سنان، وشبيب بن شيبه، انظر ابن هشام: السيرة، ص ٨٩، وابن سعيد: نشوة الطرب، ص ٤٣٢ وابن الكلبي: جمهرة النسب، ص ٢٣٢. وقد سكنت جمهرة من آل الأهثم خراسان، وفي عام ٩٦هـ قتل قتيبة بن مسلم بعض أفرادهم فكان هذا سبباً من أسباب ثورة وكيع عليه كما سيأتي بيانه.

(٢) انظر ابن قتيبة: المعارف، ص ٣٢٤. وقيل اسمه الضحاك.

(٣) انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٩١. وقد قتل جد الأحنف في يوم جيلة بين تميم وذبيان من جهة، وعامر وعيس من جهة أخرى.

(٤) ومن بني مرة بن عبيد، عمارة بن سليمان بن قيس بن عمارة الذي ضرب السلسلة في حصن المشقر، حين حصر عامل كسرى بني تميم به في الجاهلية. ومنهم الأسود بن سريع، أحد الصحابة. انظر ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص ٢٣٤، حسين حسن، أعلام تميم، ص ٧٨.

ولد الأحنف سنة ٣ ق.هـ . ولم يذكر المؤرخون شيئاً عنه في حياة الرسول ﷺ وخلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وما عُرف عنه هو أنه ثبت على إسلامه في الردة ، وكان ذا تأثير قوي على صمود كثير من تميم على الإسلام ، وسخر هو وعمه المتشمس من نبوءة مسيلمة^(١) ، أمّا في خلافة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فقد كان الأحنف سيد قومه في البصرة بدون منازع^(٢) .

وحين قدم الأحنف إلى عمر في وفد أهل البصرة احتبس حوالاً كاملاً ليليله، ويختبره ، وحين عرفه معرفة فاحصة ، ورأى منه عقلاً ، وديناً دفع له لواء خُرَاسان^(٣) بعد أن أوصى عامله على البصرة باستشارته .

وشهد الأحنف قبل أن يتوجه لفتح خُرَاسان فتح "نهاوند" ، و"قم" ووجهه أبو موسى الأشعري إلى "قَاشان" ففتحها^(٤) .

ودخل الأحنف خُرَاسان من "الطبيين" فافتتح "هراة" عنوة سنة ٢٢ هـ ، وسار نحو "مرو الروّد" حيث يُقيم يزدجرد ، فلما دنا منها تحول عنها يزدجرد إلى "بَلْخ" وقد كتب إلى خاقان ملك الترك ، وملك الصُّغد يستمدّهم . وفي "مرو الروّد" لحق الأحنف بإمدادات أهل الكوفة التي فتحت "بَلْخ"^(٥) .

وكتب الأحنف بخبر الفتح إلى عمر فقال عمر عنه هو : سيد أهل المشرق، المسمّى بغير اسمه .

وفوجئ الأحنف بيزدجرد وأعوانه يعبرون النهر إليه بعد أن كان يزدجرد

(١) انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ص ٦٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ ، ٣٨٨ .

(٣) انظر ابن سعد : الطبقات ج ٧ ، ص ٦٦ .

(٤) انظر ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ١٤٢ .

(٥) انظر التفاصيل في الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .

قد جاوزه منهزماً ، وكان الأحنف في عشرة آلاف من أهل البصرة مع إمدادات من أهل الكوفة ، وفي ليلة من ليالي المواجهة كان الأحنف طليعة لأصحابه بقرب معسكر خاقان فخرج مقاتل في وجه الصبح فقتله الأحنف ، ثم خرج ثان فقتله فتشأم خاقان وانصرف ، وانقضَّ أهل فارس على يزيدجرد ، وأخذوا خزائنه ، وصالحوا الأحنف^(١).

وانتقض أهل خراسان في عهد عثمان ، وقدم إليهم يزيدجرد فسار الأحنف طليعة لعبدالله بن عامر إلى " مرو " فأعاد فتحها بعد أن هزم الهياطلة وأشياعهم ، وبعد أن التجأ يزيدجرد إلى طاحونة وقتله أهل " مرو " ^(٢) ، وسار الأحنف إلى " بلخ " يريد خاقان الترك الذي ترك " بلخ " فعادت إلى الإسلام ثانية في سنة ٣٢ هـ ^(٣).

وقد لقي الأحنف مقاومة عنيفة في " طخارستان " حيث اجتمع أهل " الجوزجان " و " الطالقان " و " الفارياب " في وقت رفض هو فيه الاستعانة بأهل " مرو " ممن لم يدخلوا في الإسلام ، وقد تولى الأقرع بن حابس إعادة فتح " الجوزجان " ببني تميم^(٤) ، وسار الأحنف إلى " خوارزم " على نهر جيحون وعاد

(١) انظر التفاصيل في الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٢٤٦ ، وابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص١٤ .

(٢) قُتل يزيدجرد في طاحونة على نهر " الزريق " بـ " مرو " وفي ذلك قال نافع بن الأسود بن قطبة بن مالك الأسدي التميمي :

ونحن قتلنا " يزيدجرد " ببعجة من الرعب إذ وليّ الفرار وغارا

انظر ياقوت : معجم البلدان ، مادة الزريق .

(٣) انظر خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ص١٦٤ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٣١ .

(٤) وكان بما قاله لهم : يابني تميم تحابوا وتباذلوا تعدل أموركم ، ابدؤا بجهد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ، ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم " ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٣ ، ص٣٥٧ .
وباللاذري : فتوح البلدان ص٢٩٨ .

منها إلى بَلْخ بعد أن استعصت عليه، وحول "مرو الروذ" بنى قصره المعروف بـ "قصر الأحنف"، وله رستاق عظيم هناك يعرف بـ "رستاق الأحنف" (١).

وقد اعتزل الأحنف حرب الجمل، وانضم إلى علي في صفين، وكان ذا شأن كبير أيام بني أمية مقدماً في مجتمع البصرة، وفي قبيلته تميم حتى توفي في عام ٧١هـ (٢).

ومن أعمام الأحنف جزء بن معاوية، صحابي أسلم في السنة التاسعة للهجرة، وعهد إليه عمر بتتبع الهرمزان بعد فتح سوق "الأهواز" فكان أن فتح مدينة "دُورق" (٣)، وصالح الهرمزان في سنة ١٧هـ فعينه عمر بعد ذلك عاملاً على "الأهواز" (٤).

ويُعرف عدد من بني سعد التميميين باسم الأبناء، إخوان البطون، وهم: الحارث وعوافة، وجُشَم، ومالك، وعَبْشَمَس (٥)، كانوا يتعصبون في خراسان لبُخَيْر بن ورقاء الصريمي التميمي في أثناء صراع تميم (الأبناء والبطون) في خراسان (٦). ويقال لعبشمس الذين هم من الأجارب: بنو عَبْقَر، وتنسب إليهم جنة عبقر (٧)، ومنهم إياس بن قَتَادَة، حامل ديات الأزدي اليمانية في معركتها مع

(١) انظر البلاذري: فتوح البلدان، ص ٦٩٢.

(٢) انظر ابن سعد: الطبقات، ج ٧، ص ٦٦. وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٣٠.

(٣) دورق هي: مدينة سُرَق بلدة بخوزستان قسبة كورة سُرَق ويقال لها دورق الفرس. فيها كثير من

المعادن، انظر ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٠٠.

(٤) انظر ابن حجر: الإصابة، ج ١، ص ٣٨٢.

(٥) وعَبْشَمَس من عبد شمس. انظر القلقشندي: نهاية الأرب، ص ١٦٢.

(٦) انظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٢١٨. وابن الأثير: الكامل، ج ٣، ص ٢٧٦.

(٧) والعبقر: موضع يزعم العرب أنه من أرض الجن، ونسبوا إليه كل شيء تعجبوا من حذقه، انظر

الجوهرى: الصحاح ص ٧٣٤. ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص ٢٤٦.

تقيم بالبصرة في عام ٦٤هـ^(١) ، ومنهم الشاعر عَبْدَةُ بن الطبيب ، وعبد الرحمن ابن عبيد بن طارق الذي ولاه الحجاج شُرْطَ الكوفة والبصرة^(٢) ، وعاصم بن عمير^(٣) ، من فرسان تميم في خُرَاسان .

أما بنو مالك ، إخوة عبشمس ، فمنهم الراجز الأموي العجّاج ، وابنه رؤية ، كما أنَّ الأغالبة ملوك إفريقية (١٨٤ - ٢٩٦هـ) ينتسبون إلى بني مالك السعديين هؤلاء^(٤) .

وأشهر أجارب بني سعد بنو عوف ، وفيهم بنو بهْدَلَة ، عشيرة ذي البردين ، والزَبْرِقَان بن بدر^(٥) ، ويُعد بنو عطارد من إخوة عوف ومنهم : بُكَيْر ابن وشّاح الذي ادّعى قتل عبدالله بن خازم (والي خُرَاسان) ، وهو صاحب الانشقاق الخطير في صفوف تميم ، وكان من أمره أنْ ترمَدَ مرات عدة على أُمَيَّة

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص ٣٣٥ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ص ٥٤ .

(٣) هو عاصم بن عُمير السمرقندي (نسبة إلى سمرقند ببلاد ما وراء النهر) التميمي ويقال له بالفارسية: هزار مرد أي : ألف رجل ، وهو قاتل كورصول عظيم الترك . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ، ص ٣١٩ ، حسين حسن : أعلام تميم ، ص ٣٥٩ .

(٤) ينسب الأغالبة إلى الأغلب بن سالم بن عقال التميمي ، أمير من الشجعان ، كان مع أبي مسلم في خُرَاسان وولاه الخليفة العباسي المنصور أفريقية . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج١ ، ص ٢٣٩ .

(٥) بنو بهْدَلَة من أشراف تميم ، وذو البردين هو : أَحْيَم بن خلف بن بهْدَلَة ، لبس بردي المنذر بن ماء السماء لفضله وعلو منزلته ، وهو جاهلي ، أما الزبرقان فقد أدرك الإسلام ، وكان شاعر تميم عند النبي ﷺ ، وهو من الزعماء البارزين ثبت على الإسلام في الردة وأسهم في القضاء عليها ، وكان سرور أهل المدينة عظيماً حينما قدم بركة تميم إليهم بعد موت النبي ﷺ ، وكان يقال له : قمر نجد . انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٤٣٨ ، وحسين حسن : أعلام تميم ، ص ٧٠ ، ٢٨٠ .

ابن عبدالله (والي خُراسان) حتى قُتل على يد ابن عمه بُحير بن ورقاء التميمي (قاتل والي خُراسان عبدالله بن خازم مع وكيع التميمي) ^(١) .

وقوم بُكَيْرُ ذوو صيت ذائع في تميم منذ أن آلت إليهم سدانة البيت الحرام ، ونبغ فيهم من مشهوري الجاهلية كَرَب بن صَفْوَان ^(٢) ، وعُوَيْر بن شَجَنَة ^(٣) ، ويلتقي معهم في سلسلة النسب العوفي السعدي بنو قُرَيع المعروفون ببني أنف الناقة ^(٤) ، وفارسهم المقدم في خُراسان هو : الحَرِيش بن هلال (أول من نqm على الولاة الأمويين هناك، وثار ضدهم ^(٥) ، وأنف الناقة هو : جعفر بن قُرَيع ، سيد في تميم في الجاهلية ، كما كان الأضبط بن قُرَيع سيداً مطاعاً ^(٦) .

ولم يبق في الأجارب سوى الإشارة إلى بني حِمَّان وفيهم بيت من أهل العلم بالشعر ، والنحو ، واللغة وهم من بني عبد العُزَّى بن كعب بن

(١) قال الطبري : اجتمع لحرب ابن خازم فرسان - من تميم - لم يدرك مثلهم كأن الرجل منهم كتيبة .. ووكيح الوارد ذكره هنا هو: ابن الدورقية من بني سعد من تميم ، وهو غير وكيع بن حسان بن أبي سود ، قاتل قتيبة بن مسلم .. فالأخير من بني حنظلة . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص٣٧٧ ، ج٤ ، ص٩٨ .

(٢) كانت سدانة البيت لآل صوفة من بني الغوث بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان فألت إلى أبناء عمومته من بني عطار بن سعد بن تميم بن مر بن أد ، وكان كَرَب بن صفوان ابن شجنة بن عَطَّار يدفع بالناس من عرفة . انظر القلقشندي : نهاية الأرب ، ص٣٦٣ .

(٣) انظر ابن الكلبي : جمهرة النسب ، ص٢٣٨ ، وعوِير هو الذي استجار به جِرْجَر ، والد امريء القيس الشاعر، وفي ذلك قال امرؤ القيس :

وما فعلوا فعل العوِير بجاره لدى باب هند إذ تجرد قائما

انظر أحمد الطاهر مكي : امرؤ القيس حياته وشعره ، ص٩٧ .

(٤) انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص٩٣٤ .

(٥) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص٣٣٥ .

(٦) انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص٢٣٩ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص٢٤٧ .

سعد^(١) ، والإشارة أيضاً إلى ربيعة بن كعب ، والأعرج بن كعب ، ومن الأولين المستوعز بن ربيعة ، الشاعر الجاهلي^(٢) ، وجارية بن قدامة الذي صدّ هجوم ابن الحضرمي رسول معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه إلى البصرة^(٣) سنة ٧٣ هـ ، وعمرو بن جرموز (قاتل الزبير بن العوّام رضي الله عنه)^(٤) ، ومن الآخرين زهرة بن الحوية الزعيم الجاهلي^(٥) الذي أسلم وشهد القادسية وقتل الجالنيوس ، (القائد الفارسي الكبير) ، وانتهت حياته في يوم سوق حكمة (وهو طاعن في السن) حيث قتله أصحاب شبيب الخارجي مع عتّاب بن ورقاء الرياحي التميمي^(٦) .

والمنتمون إلى زيد مناة من تميم ليسوا هم بنو سعد فحسب ؛ بل هناك ربيعة ومالك ، وقد دخلت ربيعة في بني نهشل بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، أمّا مالك فقد أنجب بني حنظلة البطن التميمي الكبير ، وهم : بنو حنظلة الأكرمون ، وفيهم .

- (١) ومنهم نَمرة بن مُرة بن حِمّان بيت تميم في القديم ، والحُصين بن مُثَمّت وفد على الرسول ﷺ ، وأقطعه ماءً من مياه بني تميم ، ونزل قوم منهم في خُراسان ينسب إليهم المحدث الشهير أبو إسحاق النيسابوري إبراهيم التميمي الحِمّاني المتوفى في عام ٢١٣ هـ ، ونسب الكلبي الشاعر ثابت قطنة إلى بني حِمّان التميميين مع أنه من قبيلة الأزد اليمانية . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣١٨ ، وابن الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٢٤١ .
- (٢) انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٨٤٢ .
- (٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ١٧٢ ، ١٩٣ . وكان جارية من قواد الخليفة علي الأفذاذ .
- (٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ص ٢٠٤ .
- (٥) ورد في بعض المصادر " الجوية " بالجمجمة المعجمة وقال الدارقطني إنه " الحوية " بالحاء نقلاً عن سيف ابن عمر التميمي ، وقال : إن قول سيف أصح . انظر سيف بن عمر : الفتوح والردة ، ص ٣٨ .
- (٦) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، ص ٣١٢ ، ٣٣٥ ، ج ٤ ، ص ٥٥ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٨٤ .

البراجم وهم^(١) قلة وإليهم ينسب ابن راهويه ، وراهويه كلمة فارسية أطلقها أهل "مرو" على إبراهيم بن مُخلد التميمي ، وتعني الطريق^(٢) ، ومنهم عمير بن ضائب قتل في خلافة عبد الملك بن مروان^(٣) ، وإسحاق بن محمد ، أحد فرسان خراسان الذين غزوا بلاد ما وراء النهر مع أشرس السلمي في عام ١١٠هـ^(٤) .

وينتسب إلى بني حنظلة بنو ربيعة^(٥) الذين اشتهر منهم : أبو بلال مرداس بن أدية ، المتقدم ذكره ، وأخوه عروة أول المحكمين في صفين^(٦) ، والمغيرة بن حبناء ، شاعر تميم المقدم في خراسان ، الفارس الشهير ، أحد رجال المُهَلَّب العدودين في حرب الخوارج ، ومغازي بلاد ما وراء النهر^(٧) .

ويأتي بنو يربوع في عداد الفروع الحنظلية الشهيرة ، وهم : الحي المصرم النكد (أحمال وعقداء) ، فالأحمال ثعلبية ، والحارث ، وعمرو ، وصبير ، والعُقْدَاء كليب ، وغُدانة ، والعَنْبَر تعاقدوا على بني أخيهم رياح فصار الأحمال معه^(٨) .

ومن بني رياح عَتَّاب بن ورقاء الفارس المتقدم ذكره ، وقد قتله شبيب

(١) انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٤٤٧ . ومن القلائل في تميم ربيعة الكبرى (ربيعة الجوع) من بني مالك بن زيد مناة ، ومن هذا البطن علقمة بن عبدة ، من مشهوري شعراء الجاهلية ، وهو الذي غلب امرأ القيس على امرأته أم جندب الطائفة فلقب بعلقمة الفحل ، انظر ديوان علقمة ، أحمد الطاهر مكِّي ، امرؤ القيس ، حياته ، وشعره .

(٢) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٢٢ .

(٣) قتله الحجاج بن يوسف عام ٥٧هـ . انظر ابن الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٤٢٤ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٠٣ .

(٥) وينتمي إلى حنظلة أبو سود بن مالك ومن هذا البطن الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدد مذهب السلف في جزيرة العرب في القرن الثاني عشر الهجري ، وآل ثاني حكام قطر . انظر حسين حسن ، أعلام تميم ، ص ٤٤٠ ، ٤٩٧ .

(٦) انظر المنقري : وقعة صفين ، ص ٥١٣ .

(٧) انظر ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٢٢٠ ، والأصبهاني : الأغاني ، ج ١٣ ، ص ٨٤ .

(٨) انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٤٤٨ ، وابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٢٤ .

الخارجي سنة ٧٧هـ^(١)، والرياحيون هم : أرداف الملوك في الجاهلية ، والردافة لعتاب بن هرمي^(٢) وأبنائه وقد اشتهر من آل عتاب في الإسلام الحر بن يزيد^(٣) ، صاحب، الحسين رضي الله عنه^(٤)، ومن عموم بني رياح اشتهر سحيم بن وثيل^(٥)، ومعقل بن قيس الرياحي^(٦) ، وشبث بن ربعي ، وإلى هذا الأخير يُنسب أبو

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ص ٢٤٢ .

(٢) انظر النقااض ، ص ٦٦ ، والجوهري : الصحاح ، مادة ردف .

(٣) كان من أمر الحر بن يزيد أن عبید الله بن زياد أرسله لمنع الحسين من دخول العراق ، لكن الحر انضم إلى الحسين وقُتل معه، انظر الطبري تاريخ الأمم والملوك ، ج٦ ، ص ٢٣٤ .. وإلى الحر بن يزيد الرياحي التميمي ينتمي الحر العاملي من علماء الشيعة في العصور المتأخرة وله تصانيف منها رسائل الشيعة ، عمدة الدارسين والباحثين في المذهب الشيعي ، وعليه اعتمد الخميني كثيراً . قال حسين حسن : وآل الحر عائلة رياحية (يربوعية حنظلية) ظهر فيها العديد من فطاحل العلم ، وأعيان الفضل والأدب ، وترجم في موضع آخر لزعيم عشائري رياحي من رؤساء العراق ، وشيخ العتاتبة ، من تميم ، هو حاتم الهذال . انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ١٨٣ ، ٤٨٣ .

(٤) ومن مشهور بني يربوع مالك بن حبيب ، صاحب شرطة الخميس في عهد الخليفة علي ، واستنتج أرسن رشيد أن علياً أنشأ نوعاً من الشرطة اسمه شرطة الخميس ، وإن دور صاحب الشرطة يشبه دور الحاكم العسكري ، ونقل من بعض المصادر أن معقل بن قيس الرياحي اليربوعي التميمي هو صاحب شرطة الخميس ، ومن مصادر أخرى أن معقلاً ومالك بن حبيب كانا صاحبي شرطة علي ، ونقل بعض آراء قدماء الشيعة في شرطة الخميس . انظر أرسن رشيد : الشرطة في العصر الأموي ، ٣٢ ، ١٨٠ .

(٥) مخضرم عاش في الجاهلية والإسلام ، وهو صاحب البيت الشهير :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

مات عام ٦٠هـ ، وقد اشتهر بيت سحيم حين افتتح به الحجاج بن يوسف خطبته . انظر البلاذري :

أنساب الأشراف ، ج ١٢ ، ٢١٢ . انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ص ٢١٠ .

(٦) قتل عام ٤٣هـ وقد بارز المستورد بن علفه الخارجي فاختلفا ضربتين وماتا ، قال جرير :

ومنا فتى الفتيان والجود معقل ومنا الذي لاقى بدجلة معقلا

انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٢١٦ .

الهندي ، من شعراء خراسان في عصر بني أمية^(١).

وبرز في خراسان وكيع بن حسان بن أبي سود ، فارس رhib ، غُداني من بني يربوع حمل لواء تميم في ثورة القبائل على قتيبة بن مسلم الباهلي وفتك به عام ٩٦هـ وتولى إمرة خراسان^(٢) ، وقبل ذلك اشتهر وكيع بأنه كان بطل فتح "بخارى" مع هُريم بن أبي طحمة التميمي ، ومن ذويه برز حارثة بن بدر الغداني - أمير أثير عند زياد ابن أبيه وابنه عبيد الله - تولى إمرة "مرو" وأُحرق أخوه "ذراع" مع "ابن الحضرمي" ، أحرقه رجل من بني سعد من تميم^(٣) سنة ٣٧هـ . وعُرف في يربوع آل الماحوز ، سليطيون^(٤) ، جدهم الحارث أحد الأحمال ، تولوا إمرة الخوارج (الأزارقة) فترات طويلة ، وظهر لهم نُد من سليط هو : حارثة بن بدر بن ربيعة ، مناوئ للخوارج ، ومقاتل لهم^(٥) . وفي يربوع بيت من بيوت تميم الشهيرة ينسب إلى بني ثعلبة ومن هؤلاء :

(١) شَبَّث بن ربيعي التميمي اليربوعي شيخ مُضر وأهل الكوفة في زمنه ، أدرك عصر النبوة ، وخرج مع المختار الثقفي ثم انقلب عليه وأبلى في قتاله ، مات حوالي عام ٧٠هـ ، وهو معدّل عند المحدثين ، ولشهرته وسؤدده كثر حاسدوه ، وألصق به ما هو براء منه . وأبو الهندي هو : غالب وقيل : عبدالله ابن عبد القدوس بن شبت بن ربيعي ، من شعراء خراسان . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٢ ، ص ٢٤٠ ، ج٣ ، ص ٣٨٣ ، وابن حجر : الإصابة ، ج٣ ، ص ١١٥ ، الأصبهاني : الأغاني ، ج١ ، ص ١٧٩ .

(٢) وللفرزدق مدائح ومراثي شهيرة في وكيع . انظر ديوان الفرزدق .

(٣) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٢٦ .

(٤) نسبة إلى بني سليط بن الحارث من بني يربوع من حنظلة من تميم . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٢٧ .

(٥) أشهرهم الزبير بن الماحوز قتل عام ٨٦هـ وإخوته هم : عثمان ، وعلي ، وعبدالله ، وعبيدالله بن بشير الماحوز ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ص ١٦٢ ، وابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٢٦ .

عتيبة بن الحارث - المعروف بصيَّاد الفوارس - والمشهور بِسَمِّ الفرسان - جاهلي رهيب، يخلع القلوب ؛ ويهتك البيوت ^(١) . وقد أصهر بنو أمية إلى ذريته ^(٢) ، ومن هذا الفخذ : مالك ، ومتمم ابنا نوية ^(٣) ، والكَلْحبة اليربوعي ، هبيرة بن مناف ، (فارس العرادة) ^(٤) ، أمّا جرير ، الشاعر الأموي الشهير ، فهو : يربوعي من بني كليب ^(٥) ، ومن بني يربوع خُليد بن طريف ، أمير خُراسان من قبل الخليفة علي ^(٦) .

ومنهم حطان بن حسان بن مالك الرياحي اليربوعي الحنظلي التميمي ، قاتل أبي لؤلؤة المجوسي ، قاتل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ^(٧) . وينتمي إلى مالك بن حنظلة زيد بن مالك ، ومن هؤلاء يعلى بن أمية ، الصحابي ، أول من كتب كتاباً مؤرخاً زمن الخليفة عمر ، وهو الذي قضى على

(١) قتله غدرًا ذؤاب بن ربيعة الأسدي في يوم (خَو) يقرب سميراء في أرض بني أسد جنوب شرق جبل سلمى . انظر ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦ ، ص٧٨ . وارتبطت كثير من أخبار وقائع تميم في جاهليتها بعتيبة بن الحارث الذي يقال له أيضاً: عتاب بن الحارث ، وهو صياد الفوارس وسم الفرسان .
(٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص٢٢٦ ، المعيني : شعر بني تميم في العصر الجاهلي ، ص ١٧٨ .
(٣) مالك بن نوية من فرسان تميم شارك في كثير من وقائعها في الجاهلية ، وهو من أرداف الملوك في الجاهلية ، وقتل في حروب الردة ، ودفع أبو بكر الصديق ديته ، وأخوه متمم من شعراء المراثي ، انظر ابن الأثير : الكامل ، ج٢ ، ص٢٧٣ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص٢٠ ، وياقوت : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٨٥ .

(٤) قيل الكلحبة هو : صوت النار ، لقب لهبيرة بن عبد مناف العنزي اليربوعي من فرسان الجاهلية ، ومن وقائع فارس العرادة يوم زروود .. وفارس العرادة أخ لواقد بن عبدالله التميمي قاتل عمرو بن الحضرمي في عهد النبي ﷺ في الشهر الحرام ، وبسبب ذلك نزل قوله تعالى : "يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه .." . انظر ابن سعيد : نشوة الطرب، ص٤٤٨ ، حسين حسن : أعلام تميم، ص٥٣١ .
(٥) انظر النقاظ، وديوان جرير .

(٦) انظر ابن خياط ، تاريخ ابن خياط ، ص١٩٩ .

(٧) انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٣ ، ص٤٨ ، البلاذري: أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص٨٩ .

ردة خولان الحميرية اليمانية ، وكان أميراً على نجران ثم صنعاء زمن أبي بكر وعمر وعثمان، وله أخبار في حروب الجمل وصفين ، وأخته نفيسة التميمية كانت سبباً في زواج الرسول ﷺ من خديجة أم المؤمنين ، رضي الله عنها^(١) .
والذي يضارع يربوعاً في الشهرة والسؤدد هم : بنو مالك بن حنظلة^(٢) ، وفيهم بنو دارم ، أصحاب شرف وجلالة^(٣) ، منهم سورة بن أبجر بن نافع ، صاحب قتال الترك في "سمرقند"^(٤) ، وقومه الدارميون مشهورون جاهلية وإسلاماً ففيهم: المنذر بن ساوى (ملك البحرين) ، الذي كاتبه الرسول ﷺ^(٥) ، ومنهم : آل زُرارة ، من البيوتات العربية ، وحكام الجاهلية ، زادهم الإسلام جلالاً ومهابةً ، وبرز فيهم زُرارة بن عُدس ، وأبناؤه : حاجب صاحب القوس ، أبو عكرشة ، ووالد عطارد ، وافد تميم على الرسول ﷺ ، ولقيط ، قتيل يوم جبلة ، ومعبد ، صاحب يوم رحران ، والد القعقاع بن معبد (تيار الفرات) الزعيم العربي الكبير، ومنهم القعقاع بن ضرار، وغير زُرارة ، أنجب عدس عمراً، والد عمرو بن عمرو، فارس تميم^(٦) . وآل زُرارة من بني عبدالله بن دارم من حنظلة، وهم أحد بيوت الأرسقراطية العربية في الجاهلية والإسلام .

(١) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٧ ، حسين حسن ، أعلام تميم ، ص ٥٤٩ ، ٥٨٢ .

(٢) ورد هذا عند ابن حجر في كتابه فتح الباري في شرح البخاري ، وعند ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد نقلاً عن المدائني المؤرخ .

(٣) انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٤٤٩ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٤٥ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ص ١٤٥ .. ووهم من نسبه إلى عبدالقيس .

(٦) انظر أخبار بني عُدس بن عبدالله بن دارم في ابن الأثير: الكامل ، ج ١ ، ص ٣٣٤ . ابن عبد ربه :

العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ٩٠ ، وقد تقدم التعريف بيوم جبلة ، أمّا رحران فهو جبل شرق المدينة

المنورة لا يزال يعرف باسمه القديم إلى اليوم .

ولبني عبدالله إخوة يعرفون ببني نهشل ، ومجاشع ، ومن بني مجاشع^(١) الأصبغ من نباتة، أحد مشهوري رجال الخليفة علي^(٢) ، وأعين بن ضبيعة المجاشعي^(٣) ، والحارث بن سريج الثائر بخُرَاسان أيام نصر بن سيار ، الذي اتخذ جهم بن صفوان ، مولى تميم، كاتباً له^(٤) ، ومنهم: التُّرجمان بن هُرَيم ، فارس خُرَاساني شهير^(٥) ، والأقرع بن حابس فاتح "الطالقان" الذي مات بها^(٦) ، والفرزدق الشاعر، والبَيعِث المجاشعي^(٧) .

أمّا بنو نهشل فهم قوم خُزَيْمة بن خازم، الأمير الخُرَاساني^(٨) ، وفيهم من

- (١) يروى عن عمرو بن معدي كرب الزبيدي اليماني قوله : لله مجاشع ما أشدُّ في الحرب لقاءها ، وأجل في اللزبات عطاها ، وأحسن في المكرمات بناءها . انظر ابن سعيد : نشوة الطرب ، ص ٤٥٣ .
- (٢) الأصبغ بن نباتة ذكره ابن حبان في (المجروحين) ، وأشار إلى مغالاته في حب علي ، وينسب إليه الشيعة كتاباً اسمه مقتل الحسين . انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ٩٦ ، عبدالعزيز نورولي ، أثر التشيع ، ٧٢ .
- (٣) أعين بن ضبيعة ، من القادة الشجعان ، كان من المخلصين لعلي ، وكان معه يوم الجمل . انظر حسين حسن ، أعلام تميم ، ص ١٠٠ . ومن مشهوري بني مجاشع هُرَيم بن أبي طحمة ، من فرسان خُرَاسان واشدائها كما تقدم . انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ٥٥٦ .
- (٤) رأس مذهب الجهمية تتلمذ على يد الجعد بن درهم .. وقيل : إنه مولى لبني راسب من الأزد اليمانيين لا مولى لتميم ، وتقدم أن جهماً قتل بيد سلم بن أحوز التميمي .
- (٥) انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٢٩ .
- (٦) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٦٣ .
- (٧) البعِث المجاشعي من شعراء بني تميم في العصر الأموي ، وله أشعار فخرية في وقائع تميم كقوله في يوم "الهيماء" :

ونحن حدرنا طيبناً عن بلادها ونحن رددنا الحوفز مكلماً

(٨) خُزَيْمة بن خازم بن عبدالله بن حنظلة بن نضلة أحد الجبابرة في الحرب، والضبط من ولاية بني العباس في خُرَاسان توفي سنة ٢٠٣هـ ، انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٨٣ . وهو صاحب الخزيمية التي طغى اسمها على منهل زرد - المتقدم ذكره - فترة من الزمن ، ومن بني نهشل الشاعر عَجْرَد القائل :

أقول له وأنكر بعض شأني أَلَمْ تعرف رقاب بني تميم
رقاب لا تقر بخسف وخيم أبيات على الملك الغشوم

مشهوري العرب خالد بن مالك بن رُبَعي ، سيد جاهلي^(١) ، وعبّاد بن مسعود^(٢) ، صهر علي بن أبي طالب^(٣).

ولم يعد اسم بني تميم في عصر بني أمية مقتصرًا على المنتمين إلى بني تميم بن مرّ بن أدّ بن طابخة فحسب ؛ بل تعداه ليشمل جميع المنتسبين إلى بني أدّ ابن طابخة بن إلياس وذلك في إطار دائرة التكتلات الكبيرة في ذلك العصر . والذين أصبحوا يشملهم اسم تميم هم: الرّباب : ثور، وعكل، وتيم، وعدي^(٤) ، بالإضافة إلى بني ضبّة^(٥) ، ومُزينة . وكان الرّباب قد تحالفوا مع ضبّة في الجاهلية ضد تميم، وغمسوا أيديهم في رُب ، ثم إنّ ضبّة تركت هذا الحلف إلى أن ابتلعت تميم ضبّة والرّباب معاً وأصبحوا في عدادها^(٦) .

(١) انظر ابن سعيّد : نشوة الطرب ، ص ٤٥٣ .

(٢) تزوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليلى بنت مسعود وهي : أم ولديه أبي بكر وعبيد الله . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٩٢٢ . وقد قتل أبو بكر مع الحسين ، وقتل عبيدالله مع المختار الثقفي .

(٣) وينتمي إلى بني حنظلة أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الرازي، وابنه عبدالرحمن بن أبي حاتم صاحب " المجرح والتعديل " ، ومن ينتمي إلى بني تميم محمد ابن حبان البستي أبو حاتم ، وهو من أهل الجرح والتعديل ، قيل : أنه شطح ببعض أفكاره الفلسفية، ودافع عنه الذهبي . انظر حسين حسن ، أعلام تميم ، ٤٨٣ ، عبدالعزيز نورولي ، أثر التشيع ، ٩٦ ، ١١١ . عبدالرحمن الفريح : سيف بن عمر المؤرخ المفترى عليه (مخطوط) .

(٤) انظر القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ١٢٦ ، ولشاعر العربية الكبير أبو الطيب المتنبي قصيدة عصماء في مدح بني تميم ورد فيها قوله : "تميم بن مرّ وابن طابخة أدّ" وهي القصيدة المشهورة بقوله :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته بدد

(٥) ضبّة بن أدّ بن طابخة بن إلياس ، العمارة الكبيرة المعروفة من جمرات العرب ، قيل : منهم باسل بن ضبّة بن أدّ أبو الديلم، كما قيل : إنهم من أشعر قبائل العرب ، انظر المغربي : الايناس في علم الأنساب ، ص ٧٩١ .

(٦) انظر حمد الجاسر : جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ، ص ٨٢١ .

وكانت الرِّبَاب تسكن في أرض الدهناء بجوار تميم ، وضبة وانتشرت هي وضبة في البلاد المفتوحة في الإسلام ، وأصبح لضبة أراضٍ معروفة بها في الجزيرة الفراتية^(١).

ومن بني ضبة زيد الفوارس ، الجاهلي الشهير^(٢) ، والقعقاع بن عمارة بن شبرمة ، وعاصم بن خليفة ، قاتل بسطام بن قيس الشيباني ، فارس بكر بن وائل^(٣) ، ويعلى بن عامر بن سلمة الذي كان على خراج "الرِّي" و "همذان"^(٤) ، وعميرة بن يثربي قاضي عمر رضي الله عنه على البصرة^(٥) ، ومن آل يثربي هؤلاء كان محمد بن عمرو ، صاحب مال سجستان مع طلحة بن عبدالله الخزاعي المعروف بـ "طلحة الطلحات".

ويُعدّ بنو السيّد من أشهر بطون ضبة ، ومنهم زيد بن حصين أمير أصبهان^(٦) ، أمّا زعيم ضبة ؛ بل وزعيم تميم في خراسان في وقته فهو : ضرار بن الحصين

(١) انظر القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ١٢٦ ، ٣١٩ .

(٢) زيد بن حصين بن ضرار الضبيّ فارس شاعر في منزلة الرئيس الأول الذي هو محمّد بن سويط الضبيّ ، الذي ربح ضبة وقيم والرّباب. انظر حماسة أبي تمام ص ٥٥٧ ، وابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٦ ، ٩٨ .

(٣) عاصم بن خليفة بن معقل الضبيّ ، أدرك الإسلام ، وسكن البصرة ، انظر ابن حجر : الإصابة ، ص ١٩٣ ، وابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ٤٩ . وإياه عنى الفرزدق بقوله :

وخالي بالنقا ترك ابن ليلى أبا الصبهاء محتقراً لهاها

كفاه التبل تبل بني تميم وأجزره الثعالب والذئابا

(٤) انظر ابن الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٢٩٧ .

(٥) آل يثربي من زعماء ضبة وكانوا مع عائشة - رضي الله عنها - في موقعة الجمل. انظر سيف بن عمر : الفتنة ووقعة الجمل ، ص ٢٣ .

(٦) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ ، ٢٥٦ ، وابن الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٧٩٢ . وبنو

السيّد من بني مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أد ، وزيد بن حصين هذا هو الذي عناه الشاعر بقوله :

أتذكر إذ لحافك جلد شاة وإذ نعلاك من جلد البعير

الضَبِّي^(١) ، ومن بني ضَبَّة ربيعة بن مقروم من شعراء مضر المعدودين ، وهو من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، واشتهرت قصائده بذكر وقائع تميم كيوم بزاحة، وأبضة^(٢). وأبرز بطون الرُّباب هي: تميم ، عشيرة المستورد بن عُلْفَة الخارجي (قاتل عتاب بن ورقاء المتقدم ذكره) وهلال بن عُلْفَة (قاتل رستم قائد الفرس في القادسية)^(٣)، وعدي عشيرة غيلان ، الشاعر الشهير بذي الرِّمة^(٤) ، وعُكل عشيرة النمر بن تولب، أحد أشهر كرماء وفرسان العرب، وثور الذين ينتمي إليهم الإمام سفيان الثوري .

ومُزينة التي أصبحت في عداد تميم هم : بنو عمرو بن أد بن طابخة ، كانت منازلهم في الجاهلية بوادي سالم من ضواحي المدينة ، ووادي الصَّفراء ، والغميم^(٥) ، وانتشر منهم في خُراسان بنو المتحفز ابن عثمان^(٦) .

(١) انظر القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ٦٠ .

(٢) انظر نوري القيسي : شعراء إسلاميون ، ص ١٨٢ ، وكما افتخر ابن مقروم بيوم "بُزَاحَة" افتخر به الفرزدق ، وافتخر يزيد الفوارس ، صاحبه فقال :

زيد الفوارس، وابن زيد منهم وأبو قبيصة ، والرئيس الأول

وقال :

وضَبَّة ، أخوالي هم الهامة التي بها مضر دماغه للجماجم

انظر النقائض ، ص ١٤٥ ، وديوان الفرزدق .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٣١ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٨٢ .

(٤) وفي الجاهلية كان منهم من مشهوري الفرسان النعمان بن مالك ، وابن قهوس ، والنمر بن تولب شاعر مخضرم ، انظر ابن الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٢٧٨ .

(٥) هو غيلان بن عُقبة بن بهيش بن مسعود بن حارثة توفي في خلافة هشام بن عبد الملك ، انظر ديوان ذي الرِّمة .

(٦) من مشهوري مُزينة : زهير بن أبي سُلمى المُرَني الشاعر الجاهلي ، وابنه كعب ، والنعمان بن مُقرن صاحب " نهاوند " انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٧٣ ، ص ٨٤ ، وابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٤ ، ٨ ، ٩ .

وترجع علاقة بني تميم بخُرَاسان إلى الفترة الأولى التي وطئت بها أقدام الفاتحين الأولين الأرض الخُراسانية ؛ فقد كان الفاتح الأول لخراسان هو سيد بني تميم^(١) ، الأحنف ابن قيس ، وقد سار إليها بجيش من البصرة التي تعد تميم من أشهر قبائلها^(٢) . ولما اقتضى الأمر إعادة الفتح في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه كان الأحنف على مقدمة الجيش ومعه عدد من بني تميم ، على رأسهم سيد خُندف في صدر الإسلام ، الأقرع بن حابس التميمي ، شهيد موقعة "الجوزجان"^(٣) . وقد أنشأ الأحنف ما يمكن أن يسمى بأول مركز للاستقرار العربي الإسلامي في خُرَاسان متمثلاً في القصر المنسوب إليه ، الواقع بقرب "مرو"^(٤) . وأسهم في الرفع من مكانة تميم في المجتمعين العراقي ، والخراساني أن عدداً من قادة الفتح في بلاد العراق ، وفارس ، وخراسان كانوا من بني تميم ومن هؤلاء على سبيل المثال : ربعي بن عامر ، وجُزء بن معاوية^(٥) وسُلَيم بن القين^(٦) ، والأحنف بن قيس ، وأسيد بن المشتمس ، وزُهرة بن الحوية ، وكان زهرة هذا زعيماً مملكاً في الجاهلية في نواحي "هَجَرَ" بأرض البحرين^(٧) ، ولما اختط

(١) المحتفز بن عثمان بن بشر بن أوس بن نصر من ولد ذؤيب بن سعد من مُزينة ، انظر ابن الكلبي : جمهرة النسب ص ١٩٢ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ١٦ .

(٣) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٩٤ .

(٤) وقد تقدم أن فتح خُرَاسان كان في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عام ٢١هـ وتمت إعادته بعد الانتفاض في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه في عام ٢٨هـ ، وفي مناقشة الآراء في الفتح انظر الغزي : الشعر الأموي في خُرَاسان ، ص ٢٠ .

(٥) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٥٩٣ .

(٦) هو فاتح مدينة دُورق . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، ص ٢٢ .

(٧) هو فاتح منازر ، ونهر تيري: انظر التفاصيل عند محمود شيت خطاب ، قادة فتح بلاد فارس ، ص ١٤٢-١٤٦ .

المسلمون بالبصرة والكوفة كان هو نزيل الأخيرة منهما ، وحدث قبل ذلك أن جماعة من الديلم استأمنوا سعد بن أبي وقاص في القادسية، واعتنقوا الإسلام باتفاق مع سعد ينص على أن ينزلوا حيث أحبوا، ويحالفوا من شاءوا من قبائل العرب، ويفرض لهم في العطاء ، وقد صار هؤلاء إلى زُهرة بن الحَوَّيه فحالفوه^(١) ، ويُقال : إنهم في محالفتهم لهذا التميمي قد جاروا الأساورة في البصرة الذين حالفوا تميمًا بعد أن أسلموا بشروط مشابهة لشروط الديلم^(٢) .

وكان شيرويه الأسواري قد أراد النزول مع خالد بن المعمر السدوسي في بكر بن وائل لكن سياه الأسواري رفض ذلك ، وحالف التميميين^(٣) .

وقيل : بل هم فضلوا تميمًا على الأزد ، وليس بكر بن وائل لقربة تميم من الرسول ﷺ^(٤) .

وقد صنع السبابجة ، والزَّط صنيع الأساورة ؛ فحالفوا بني حنظلة التميميين وكان الأساورة مع بني سعد^(٥) ، وقد وقف أحلاف تميم على الحيدة في يومي الجمل، وصفين لكنهم شاركوا تميمًا في صراعها مع الأزد ، وربيعة أيام فتنة مسعود الأزدي في البصرة في عام ٦٤هـ^(٦) .

وأصبحت تميم في عصر بني أمية كتلة أكبر مما كانت عليه في الجاهلية ، إذ لم يعد لفظ تميم قاصراً على المنتمين إلى تميم بن مُرٍّ ؛ بل أصبحت التميمية

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ص ١٠٤ .

(٢) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٩٣٣ ، وقد دخل بعض الديلم في الأساورة عندما سيرهم زياد إلى البصرة : انظر إحسان النص : العصبية القبلية ، ص ٢٢٠ .

(٣) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣٦٠ .

(٤) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣٩٥ .

(٥) انظر إحسان النص : العصبية القبلية ، ص ٢٨٠ .

(٦) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٤٣٠ .

تعني جميع فروع بني طابخة بن إلياس بن مضر^(١) ، وهؤلاء هم : مُزينة ، والرباب " عكل ، وعدي ، وثور " ، حالفوا ضبة في الجاهلية على تميم^(٢) ، إلى أن بلغت تميم القبيلتين معاً وأصبحتا في عدادها^(٣) .

ولما كانت تميم وأحلافها يحلون غالباً في أراضٍ متجاورة منذ الجاهلية^(٤) ، ولصلة القرابة التي تربط بعضهم ببعض فإنه لم يوجد في تميم ذلك التنافر الذي يلاحظ في حلف القبائل البعيدة النسب كحلف ربعة والأزد مثلاً ؛ بل إن أحلاف تميم ، - وهم قرابتها - قد أغفلوا مسميات قبائلهم الصغرى وانضوا تحت مسمى تميم^(٥) ، وتحقق هذا فعلاً في خراسان ، ففارس خراسان زهير العدوي الربابي هو : زهير التميمي البطل المغوار^(٦) ، وعثمان بن بشر المحتفز المُنزني هو : أحد قادة تميم المشاهير أيام فتنة ابن خازم^(٧) ، وضرار بن الحصين الضبي هو : الزعيم الذي ينافس وكيع بن حسان على سيادة قبيلة تميم أيام قتيبة بن مسلم^(٨) .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٤٧٨ .

(٢) انظر ابن الكلبي : جمهرة النسب ، ص ١٨٩ وما بعدها .

(٣) انظر حمد الجاسر : جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ، ص ١٢٠ .

(٤) انظر البكري : معجم ما استعجم ، ص ٢٣٠ .

(٥) وتأكد ذلك في الفتنة القبيلة التي شهدتها البصرة في عام ٦٤هـ ، انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٣٢٢ .

(٦) يلتقي زهير مع بني تميم في أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، وبنو تميم منسوبون إلى تميم بن مر بن أد . انظر ابن الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٢٢٠ .

(٧) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٨٨ . ومُزينة هم : بنو عمرو بن أد . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٩٦ .

(٨) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٩٤ .

ومما تميز به التميميون في خراسان هو أنهم كانوا أكبر كتلة عربية هناك ، وأنَّ غالبية فروع تميم مُثلت في تلك البلاد ؛ فنزل خراسان أناس من بني سعد : منقريون ، وقُريعيون ، وصريميون ، وعُطارديون ، وفروع أخرى من مُقاعس ، والبطون ، والأبناء ، ونزلها أناس من بني حنظلة : مجاشعيون ، ويربوعيون ، وغيرهم ونزلها أناس من بني عمرو ، ونزلها أناس من ضَبَّة ، ومُزينة ، وعدي ، وثور .
وقد تنوع النشاط التميمي في خراسان وتعددت مجالاته ، فبرز في تميم فرسان مشاهير ، وأبطال مغاوير ، وصفهم الطبري : "بأنَّ الواحد منهم كأنه كتيبة" ، وقال في أثناء الحديث عن فتنة ابن خازم : إنه قد توفر لتمييم "فرسان لم يدرك مثلهم" لمصاولة ابن خازم ومجالدته^(١) ، ومن هؤلاء الحريش بن هلال القرَيعي السعدي ، الذي كان من خيرة أبطال أهل البصرة^(٢) . وقد كان على خمس تميم حينما سار المهلب لقتال الخوارج "الأزارقة"^(٣) ، ثم أصبح ذا شأن مع قومه في خراسان^(٤) .

ومنهم شماس بن دثار العطاردي السعدي ، أول من تصدَّى من بني تميم لابن خازم ورفض تنكره لهم ، وقد فارق شماس تميمًا حينما افترقوا ونزل سجستان ، غير أنه ما لبث أن عاد ، وسار مع أمية بن عبدالله في عام ٧٧هـ مجاهدًا في بلاد ما وراء النهر^(٥) .
وبرز في تميم شعراء فحول ، دونوا مآثرها ، وسجلوا بشعرهم مفاخرها .

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٩٥ .

(٢) انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ص ١٢٩ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٨٨ .

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٢٧٥ .

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٨١ ، ٢٧٥ .

والتحموا مع شعراء القبائل الأخرى في نقائض هجائية لم تصل إلى حد الإقذاع في معظمها^(١)، وقد اعتبر المغيرة بن حنناء شاعر تميم الأول في خراسان^(٢)، وهو حنظلي من الفرسان الأشداء^(٣)، وقد نشأ في حنظلة شعراء آخرون كالشمر دل بن شريك وهو يربوعي ينحو في شعره منحى الأراجيز التي يدور معظمها حول الصيد^(٤)، وكأبي الهندي اليربوعي^(٥)، ومن غير بني حنظلة كان هناك حاجب الفيل مازني من بني عمرو^(٦)، ومالك بن الربيب المازني .

وهذا التفوق الشعري الذي تميزت به تميم لم يقف عند حد أن يكون لها شعراء بخراسان يرصدون أخبارها ؛ بل إن شعراء تميم في البصرة قد عاشوا بخراسان بأحاسيسهم، ومشاعرهم، ويكفي أن نُشير للفرزدق الذي كان يستشعر مكانة قبيلته استشعاراً قوياً^(٧)، ويبدئ ويبعد في المعاني التي ردها الشعراء التميميون بخراسان وهو في العراق مع الإسهاب، والإطالة في ترديد هذه المعاني^(٨)، حتى إنه ليتمكن القول بأن الفرزدق كان له حضور شعري في خراسان أكثر من بعض شعراء تميم الموجودين هناك .

(١) انظر الغزي : الشعر الأموي في خراسان ، ص ٩٦ .

(٢) انظر المبرد : الكامل ، ج ٢ ، ص ١٤٣ .

(٣) انظر ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٣٢٠ .

(٤) انظر الآمدي : المؤلف والمختلف ، ص ٢٠٥ .

(٥) جده شَبَّت بن ربعي الرياحي اليربوعي سيد بني يربوع بل شيخ مُضَر بالكوفة . انظر الجمحي : طبقات الشعراء ، ص ١٤٧ .

(٦) انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٣٥١ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ج ٢ ، ص ٦٣١ .

(٧) انظر حسين علوان : الشعر العربي بخراسان ، ص ٨٥ .

(٨) فخر الفرزدق بقتل تميم لابن خازم وأنكر على قومه التميميين اشتراكهم في فتنة ابن الأشعث كما افتخر بشجاعة وبطولة وكيع ، وقتله لقتيبة ، وتصدى بقوة لتعصب القسرين خالد وأخيه أسيد لليمن ، وأفاض في مدح هلال ابن أحوز المازني قاتل آل المهلب ، كل ذلك بروح جياشة ، وعاطفة مندفة . انظر ديوان الفرزدق ، ص ٧٥ ، ١٠١ ، ١١٤ ، ٢٠١ ، ٢٥٥ .

والفرزدق من أشد شعراء العصر الأموي تعلقاً بقومه ، وتعصباً لهم ولذلك كانت المآسي التي تحمل بهم تشير أشجانه ، ولواعج نفسه فيبادر إلى رثائهم ، كما أنه قد وقف جانباً من شعره على البارزين من قومه ، مطنباً في ذكر أخبار تميم معتبراً كل ما حوت خراسان أمجاداً لهم ، ومآثر^(١) .

وبلغ التميميون شأواً بعيداً في دفع حركة الفتح الإسلامي ، واعتبرت بعض المناطق فتحاً تيمياً خالصاً وذلك كمدينة "بخارى" أيام قتيبة^(٢) ، وأنقذ فرسان تميم الجيوش الإسلامية الفاتحة من مآزق كثيرة كما حدث في "سمرقند" أيام ولاية الجنيد الأمري^(٣) ، وردوا هجمات عنيفة على حصون المسلمين كما في قصر "أسفاد" أيام ابن خازم ، وكما في قصر "الباهلي" في عام ١٠٢ هـ^(٤) .

وكان في طليعة تميم في هذه الغزوات فرسان كثر عرفوا بالشدة ،

(١) انظر إحسان النص : العصبية القبلية ، ص ٢٨٥ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٦٨ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ١٢٩ .

(٤) قصر الباهلي من أعمال "سمرقند" وكانت تميم قد صدت الترك حينما أرادوا اقتحامه والتزوج من امرأة عربية بالقوة وفي ذلك قال كعب بن معدان الأشقري الأزدي :

أناك أذاك الغوث في برق عارض دروع وبيض حشوهن تميم
أبوا أن يضموا حشو ما تجمع القرى فضمهم ينوم اللقاء صميم

وقال ثابت قطنة الأزدي :

فدت نفسي فوارس من تميم غداة الروع في ظنك المقام
فمن مثل المسيب في تميم أبي بشر كقادمة الحمام

يذكر بلاء المسيب بن بشر الرياحي التميمي . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ١٦٢ .

وقد أبلى في ذلك اليوم الأشهب بن عبدالله الحنظلي التميمي . انظر حسين حسن ، أعلام تميم ، ص ٩٤ .

والصرامة ؛ كشُعبة بن ظهير النهشلي الحنظلي^(١) ، وسورة بن الحر الدارمي الحنظلي^(٢) ، وعاصم بن عمير السعدي السمرقندي^(٣) .

وتولّى إمارة خراسان من تميم ؛ خُليد بن قُرة اليربوعي ، في أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وبُكير بن وشّاح العطاردي في عام ٧٢ هـ ، ووُكيع ابن حسان اليربوعي في عام ٨٦ هـ ، وتولّى عدد منهم مناصب مختلفة مثل : إمارات المدن ، والشرطة ، وقبادة الجيوش ، ومن أبرزهم في ذلك سلم بن أحوز المازني من بني عمرو بن تميم الذي كان على شرطة نصر بن سيار في أخريات أيام بني أمية^(٤) ، وسورة بن الحر ، وعاصم بن عمير اللذين تعاقبا على إمارة "سمرقند" ، ووُشّاح بن بكير بن وشّاح الذي تولّى إمارة "مرو" .

وكان للتميميين دور بارز مؤثر في الفتن الداخلية التي شبت في خراسان ، ولعل أبرزها صراعهم مع بكر بن وائل إلى جانب ابن خازم الذي استمر لعدة سنوات^(٥) ،

(١) وقد تولّى إمارة السَّعد في عام ١٠٢ هـ . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ١٦٢ .
(٢) كان سورة بن الحر الدارمي أميراً على سمرقند ، وقُتل في وقعة الشعب عام ١١٢ هـ أيام الجُنيد المري . فقال هشام بن عبد الملك : إنا لله وإنا إليه راجعون مصاب سورة بخراسان ، ومصاب الجراح الحكمي بالباب . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٢١١ .

(٣) تأمر عاصم في سمرقند وله أعمال بطولية رائعة قتل في عام ١٣١ هـ . انظر ترجمته في كتاب : أعلام تميم لحسين حسن ، ص ٤٥٩ .

(٤) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٣٩ .

(٥) لم يكن هذا الصراع صورة طبق الأصل لحروب الجاهلية ؛ إذ هو نزاع على المصالح ، وامتلاك البلاد ، والسيادة لا على المكاسب المادية الوقتية ثم إنّ الإطار العام لقبيلتي بكر وقيم قد اتسع حتى شمل أحلاف القبيلتين من غير العرب كبني صهيب أحلاف بني قيس بن ثعلبة البكرين الذين رفضوا الصلح مع تميم وابن خازم ، وأيضاً فإن هذا الصراع يدور في أرض تختلف في شكلها وتكوينها عن صحراء العرب التي ألفوها في جاهليتهم ، والحرب هنا حرب مدن وخنادر مما لا تألفه أكثر فروع هاتين القبيلتين زيادة على أن العرب قد أصبحوا ذوي مبادئ وأهداف مبالغة لأهداف ومبادئ النظام الجاهلي ، ومعنى هذا أنّ هذا الصراع ليس صراعاً عربياً بمعناه المعروف قبل الإسلام ولا هو ردة جاهلية على الرغم من أن أصداء هذا الصراع تستفز حمية القرابة ، وتستثير السخائم ، والأحقاد القديمة .

وخلافهم مع قتيبة بن مسلم الذي أسفر عن مصرعه على يد وكيع بن حسان بن أبي سود ، لكن الفتنة التي كانت أشد وقعاً ، وأبعد أثراً هي تلك الحركة التي قادها الحارث بن سُريج المجاشعي الحنظلي التميمي ، والتي امتدت لمدة تزيد على الاثني عشر عاماً^(١) ، وحملت في ثناياها صراعاً مذهبياً ، فكرياً ، قبلياً ، ذلك أنَّ الحارث نقم على الولاة ما رآه من إخلال بالأمر الشرعية ، ثم هو قد تبنيَّ مذهب الإرجاء وجاء بأفكار متشددة ليست من الإرجاء ، واتبعه على ذلك خلق كثيرون ، فاستولى على عدد من المدن ، والبلدان مما أضعف مركز السلطة الحاكمة في أيام نصر بن سيار ، وسَّهل لدعاة بني العباس مهمة الاستيلاء على خراسان ، وإسقاط حكم بني أمية^(٢) .

وقد بدأ خلاف التميميين مع الولاة ، وخلافهم فيما بينهم بوقوف أحد بني جُشم السعديين في وجه ابن خازم حينما قدم "مرو" ، ولم يكن من صالح ابن خازم ، وقد تغلب على "مرو" أن يكسب عداوة تميم لأنَّ بكر بن وائل قد امتنعت عليه ، وطمعت في امتلاك خراسان ، وتقرَّب ابن خازم إلى بني تميم مستشيراً فيهم الحميَّة المضرية ، ومؤكداً على علاقة المصاهرة التي تربطه بهم ، بل وممنيتهم بالإمارة^(٣) .

ومع بغض بعض بني تميم للحرب الدائرة بينه وبين بكر فإنَّ تميماً قد صَفَّت

(١) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١ ، ص ٢٦ .

(٢) خرج الحارث بن سُريج عام ١١٦هـ في ولاية عاصم بن عبدالله الهلالي، ولما انهزم جيشه أمام أبواب "مرو" انصرف إلى بلاد ما وراء النهر ، فأقام اثنتي عشرة سنة ، وفي عام ١٢٧هـ عاد إلى "مرو" بعد أن أرسل إليه نصر بن سيار أماناً من يزيد بن الوليد غير أنه ما لبث أن عاد إلى سيرته الأولى حتى قتل في عام ١٢٨هـ . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٥٩ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٦٥ .

له خراسان فلما كان ذلك اطرَّحهم "وجفاهم" ^(١) فانقلبوا عليه في حرب شديدة العنف، إلى أن تفرق جمعهم ، وانقسموا إلى أحزاب شتى إلا أنه مع ذلك لم يستطع التغلب عليهم فقد قتلوه وأدالوا دولته .

وحين أحس بُكير بن وشاحٍ بقرب قدوم وال جديد على خراسان حاول التقرب إلى ابن عمه ومنافسه السجين بحير بن ورقاء الصريمي ^(٢)، لكن بحيراً رفض ، فسعى بالصلح بينهما الزعيم التميمي الكبير ضرار بن حُصين الضبي بعد أن وقفت مقاعس والبطون من بني سعد مع بحير ، ووقف الأبناء السعديون مع بُكير ^(٣)، ولم يشأ أمية بن عبدالله "الوالي الجديد لخراسان" أن يعرض لبكير وعماله وهو الذي جاء لإطفاء نائرة قبائل خراسان بصفة عامة وبني تميم بصفة خاصة ؛ بل إنَّ أمية عرض على بُكير منصب الشرطة ^(٤)، فلما لم يقبله تقلده بُحير بعد إخراجه من السجن، وحين همَّ بكير بالمسير إلى "طخارستان" والياً عليها من قبل أمية ، غيرَ أمية رأيه في ذلك بمشورة بحير وأبقى بُكيراً ، ثم أغزاه بلاد ما وراء النهر ، وعدل عن ذلك أيضاً.

ولما غزا أمية بلاد ما وراء النهر ، أخذ بُكيراً معه ، فلما كانا في منتصف الطريق رده إلى "مرو" والياً عليها فما أن وصلها بُكير حتى خلع الطاعة وانتقض على أمية بمؤازرة رجال من تميم من أمثال : عتَّاب اللقوة ، والأحنف

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٧٥ .

(٢) كان بُكير قد تولى إمرة خُراسان بعد قتل ابن خازم ، وسجن منافسه بُحير بن ورقاء .

انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٣٧٨ ، ج ٤ ، ص ٢٠ .

(٣) أرسل بكير لبُحير أربعين ألفاً وأخذ عليه أن لا يقاتله . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ١٩٧ .

(٤) رفض بُكير أن يكون على شرطة أمية وقال : كنت والي خراسان تُحمل الخراب بين يدي فأصير اليوم على الشرطة أحمل الحربة . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٢٠٩ .

العنبري^(١)، وبعد حربٍ بين أميةٍ وبكير اصطُح الاثنان على أن يقضي أمية عن بكير أربعمئة ألف درهم ، ويصل أصحابه، ويوليه أي كور خُراسان شاء^(٢).
على أن مدة الصلح لم تدم طويلاً حيث همَّ بكير بالانتقاض مرة أخرى فقبض عليه أمية في سنة ٧٧هـ ودفعه إلى غريمه بُحير بن ورقاء الذي قتله ولم يستمع إليه حين قال : إنك بقتلي تفرق أمر بني سعد ؛ بل كان رده عليه : إن بني سعد لن يتفقوا ما دمنا حين^(٣) .

والذي يلاحظ هو أن خلاف بني تميم قد زاد بعد أن أقصي بكير عن الولاية ، فكان شماس بن دثار ، وهو عطاردي من عشيرة بكير مع بحير ، وكان على مقدمة جيش أمية المكلف بالقضاء على ثورة بكير في "مرو"^(٤) ؛ بل إن كثيراً من الزعماء التميميين^(٥) كانوا مع بحير، ولا شك أنهم قد نقموا على بكير موالاته لابن خازم في أثناء صراعهم معه ، وأيضاً إقدامه على سجن بحير وادعاء قتل ابن خازم ، ومع ذلك فإنَّ بُكيراً لم يعد مؤيداً من التميميين حتى بعد وفاته ؟ فقد قال عثمان بن رجاء السَّعدي :

فلو كنت من عوف بن سعد ذؤابة

تركت بُحيراً في دم مترقرق

(١) لما همَّ بكير بالعودة إلى "مرو" بأمر من أمية أشار عليه عتاب اللقوة بأن يحرق السفن ، ويستولي على "مرو" بعد أن يخلع أمية ويأكلها إلى زمن ، وقد أيد الأخنف العنبري اليربوعي ذا الرأي وأطاعهما بكير . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٢٠٩ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٧٠ .

(٣) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٢١١ .

(٤) انظر حسين حسن : أعلام تميم ، ص ٢٨٠ .

(٥) من أمثال : ضرار بن الحُصين الضبي ، وعبدالعزیز بن جارية بن قدامة السعدي ، وقد شهدا ، فيما يقال ، مع بُحير على بكير عند أمية وقالوا : إنَّه يزعم على الثورة فقال بكير : إن هؤلاء أعدائي . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٢٧٩ .

فقل لبُحير نم ولا تخش نائراً

بعوف فعوف أهل شاء حبلق^(١)

وهو بذلك يستنهض بني عوف بن كعب للأخذ بثأر بُكير^(٢)، وقد أثارت أبياته حفيظتهم فتعاقد منهم سبعة عشر رجلاً على الطلب بدم بُكير، وقتله واحد منهم^(٣).

والقصة في ذلك طويلة على أن خلاصتها هي أن صعصعة بن حرب من بني عوف بن كعب بن سعد خرج من البادية^(٤)، إلى سجستان مدعياً أنه من بني حنيفة، فلاطف قرابة بُحير هناك، ثم قال: إني سائر إلى بُحير طمعاً في أن يعينني على رد ميراث غلبت عليه وأود لو كتبت معي إليه، ففعلوا ذلك فسار حتى أدرك بُحيراً بـ "أخرون" فيما وراء النهر مع المهلب بن أبي صفرة، ومكث معه زمناً متردداً إليه على أنه حنفي من بكر بن وائل وإلاً فقد كان بحير كثير الاحتراس، ولا يأمن أحداً.

وفي غفلة من بُحير، في يوم من الأيام، دنا منه وقتله، فقال الناس: خارجي، وصاح هو، يالثرأت بكير، أنا نائر ببكير، وقد طببت نفساً حينما قتلته أمام الملأ ولو أردت غير ذلك لفعلت^(٥)، وانتهى الأمر به إلى القتل،

(١) انظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٨، ص ٦.

(٢) انظر إحسان النص: العصبية القبلية، ص ٣٨١.

(٣) كان بُحير يعلم بأن المتعصين لبكير يطلبون دمه وقد قال في ذلك:

توعدني الأبناء جهلاً كأنما
برون فنائي مقفراً من بني كعب
رفعت له كفي بحد مهند
حسام كلون الملح ذي رونق غضب

انظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٨، ص ٧.

(٤) يقصد بالبادية بادية البصرة وقد يقال لها: بادية بني تميم.

(٥) قال المهلب بن أبي صفرة: ما رأيت رجلاً أسخى بالموت من هذا، انظر ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٧٦.

غير أنَّ بني عوف ، والأبناء ثاروا لما يرونه من عدم وجود مبرر لقتل صَعَصَعة وقد قُتِلَ بحير بُبُكير ، وضج بنو مقاعس والبطون حمية لُبُحير ، وخاف الناس أنَّ يعظم البأس لكن أهل الحجى مع المهلب حملوا دم صَعَصَعة وجعلوا دم بُحير بواءً بُبُكير^(١) ، وكان ذلك في عام ٨١هـ^(٢).

وقد ظَلَّت أخبار بني تميم تتوالى ، وحوادثهم يتصل بعضها ببعض في خُراسان وبلاد ما وراء النهر ، وفي عام ٩١هـ وفي أتون احتدام معارك الفتوح الإسلامية في بلاد ما وراء النهر كان بنو تميم يسجلون ضروباً من الشجاعة منقطعة النظير ، فكانوا هم أبطال فتح "بُخارى" ببلاد الصَّغْد ، على وجه التحديد يتقدمهم وكيع بن حسان ، وهُرَيم بن أبي طحمة المجاشعي . على أنَّ قتيبة بن مسلم وبعد أن كان يقول لهم : يا بني تميم أنتم مني بمنزلة الحُطمية تنكر لهم ، وزاد على ذلك بأن قتل الأهاتم من بني منقر السعديين^(٣) ، ولم يقبل شفاعة وكيع التميمي فيهم ، وصرف إمارة تميم عن وكيع ، وقلَّدها ضرار بن الحُصين الضبي التميمي .

وما أن أهل عام ٩٦هـ حتى كان قتيبة يعيش مأزقاً خطيراً ، إذ هو قد أجاب الوليد بن عبد الملك إلى نزع ولاية العهد من أخيه سليمان ، وجعلها لابنه عبدالعزيز ، وقد مات الوليد ، وتولى الخلافة سليمان فخافه قتيبة ، وخشي قدوم

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٧ .

(٢) انظر ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٩ ، ص ٣٩ .

(٣) قال كعب الأشقرى الأزدي في قتل قتيبة للأهاتم :

قل للأهاتم من يعود بفضله بعد المفضل والأغر يزيد

ردا صحائف حنككم بمعاذر رجعت أشاتم طيركم بسعود

انظر الأصبهاني : الأغاني ، ج ١٤ ، ص ٢٩٣ .

يزيد بن المهلب إليه والياً على خُراسان ، فغزا فرغانة^(١) ، واضطرب أمره حين دعا القبائل إلى خلع الخليفة؛ فلماً لم يجبه أحد انهال على الناس شتماً وتوبيخاً حتى استفزهم^(٢) ، وغضبت الأزد غضباً شديداً همّت معه بالفتك بقتيبة لولا أن أشار عليها زعيم ربيعة ، الحضين بن المنذر ، بالترث لئلا تتعصب قيم له .

ووجد الناس ضالتهم المنشودة في وكيع بن حسان بن أبي سود التميمي ، الموتور بقتل الأهاتم ، والغاضب على قتيبة لغمطه حق قيم ، وصرف رئاستها عنه ، والمملوء زهواً ، وتيهياً ، بجفاء ، وكبرياء شديدين ، وبائع الناس وكيعاً فقتل قتيبة في أحداث ملأت أعطاف كثير من الشعراء غروراً فراحوا يتجاذبون قضية مقتله مفاخرين بقبائلهم ، ومباهين بزعمائهم ، فعل ذلك ثابت قطنة الأزدي^(٣) ، ونهار بن توسعة البكري الوائلي^(٤) ، وفعل ذلك الفرزدق حين نظم ميميته ذات الخمسين والمائة بيت^(٥) .

(١) انظر ابن الأثير: الكامل ، ج ٤ ، ص ١٢٨ .

(٢) وكان القيسيون ممن نالهم شتمه وتوبيخه فلما أحس بالخطر قال : أين بنو عامر ؟ فقال محفن بن جزء الكلابي نادم حيث وضعتهم ، انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ١٢٣ .

(٣) قال ثابت قطنة :

ألم تر أن الباهلي ابن مسلم به "فرغانة" القصوى بدار هوان

انظر أبو عبيدة : النقائض ، ص ٣٦٣ .

(٤) وقال نهار بن توسعة :

ولما رأينا الباهلي ابن مسلم مجبراً عمناه عضباً مهنداً

انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ١٢٥ .

(٥) ولم يقتصر الفرزدق في الفخر بمقتل قتيبة بميميته التي منها قوله :

تعيرونا أيام قيس ولم ندع لعيلان أنفاً مستقيم الخياشم

تخلّى عن الدنيا قتيبة إذ رأى تيماً عليها البيض تحت العمائم

وإنما له قصيدة أخرى منها قوله :

ومنا الذي سل السيوف وشامها عشية باب القصر من "فرغان"

وقد كان لما تلا مصرع قتيبة من حوادث^(١) أثر في تضخم التعصب القبلي^(٢) ، وإتاحة الفرصة لنقباء الدعوة العباسية أن يظهروا في خراسان على رأس المائة الأولى للهجرة^(٣) . وفي عام ١٠٦ هـ اصطدم العرب بعضهم ببعض . على أن هذا إنما كان صدئاً لما كان يجري في الشام ، مقر الخلافة ، وفي العراق الذي كانت خراسان تتبعه في أغلب الأزمنة ومما تجب ملاحظته هو أن قتيبة ، وقد اضطرب أمره في عام ٥٩ هـ قد أساء إلى من حوله ، والدفاع عن باهلة ، قبيلة قتيبة لا يستوجب التشنيع على وكيع التميمي ، كما ذهب إلى ذلك حمد الجاسر في كتابه "باهلة، المفترى عليها".

وحين أحس الخليفة هشام بن عبد الملك بما يجره التعصب القبلي من متاعب جرد خالداً القسري ، والي العراق وخراسان، المعروف بشدة تعصبه لليمن عن مناصبه ، وذلك عام ١٢٠ هـ وهو العام الذي مات فيه أخوه أسد ، وولى خراسان رجلاً لا عصبية له هو : نصر بن سيار^(٤) . والناظر في أمر نصر يجد أنه كما قال الخليفة : "لا عصبية له" ولكن

وفي موت وكيع قال الفرزدق :

لقد رزئت بأساً وحزماً وسؤوداً قيم بن مريوم مات وكيع

انظر المبرد : الكامل ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ ، ديوان الفرزدق ، ص ٣٢٥ .

(١) ألح بعض القيسيين - استجابة لدواعٍ عصبية - على أن قتيبة قد قتل وهو على طاعة السلطان وقد كلف سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب بأن يطلب البيئة على ذلك على أن وكيعاً لم يقدر بقتيبة ومات موتاً طبيعياً . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ١٤٥ ، المبرد : الكامل ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ .

(٢) مع ملاحظة أن مقتل قتيبة وما ترتب عليه هو أثر مما حدث في دمشق من موت الوليد ، وانتقال الخلافة إلى أخيه سليمان .

(٣) وكان عددهم اثني عشر نقبياً . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ١٩٦ .

(٤) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٧٨ .

نصر كان يحارب في صفوف بني تميم في الغزوات ؛ كما في معركة الشعب سنة ١١٢هـ^(١) وأيضاً فقد كان من بين نفر التميميين الذين عذبهم أسد في خراسان عام ١٠٨هـ ، وأرسلهم إلى أخيه خالد في العراق^(٢) ، وقبل ذلك انتصرت تميم وقادها هو في وقعة "البروقان" سنة ١٠٦هـ .

وحين تولى نصر أمر خراسان كان قريباً من بني تميم بل هو واحد منهم للأسباب التي مر ذكرها ، ولأنهم أحوال ابنه تميم ، وللرابطة الخندفية التي تجمعهم بهم وقد قال في ذلك :

أنا ابن خُندف تنمني قبائلها للصالحات وعمي قيس عيلانا

وما من شك في أن نصراً أراد أن يتقوى ببني تميم ، ويحول أيضاً دون استمالة الحارث بن سريج لهم ، وكان نصر وسلم بن أحوز التميمي متلازمين أيام أسد القسري ؛ فلما أصبح نصر أميراً جعل ابن أحوز على شرطته ، وجعل وشاح بن بكير بن وشاح على "مرو" العاصمة ، وعاصم بن عمير التميمي على "سمرقند" وقد بلغ من تعصب بني تميم لنصر أن أنكروا محاولة خلعه عند الخليفة هشام عام ١٢٣هـ ، وكان يوسف بن عمر الثقفي ، والي العراق ، يقف وراء هذه المحاولة^(٣).

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٢٨٩ .

(٢) وفي ذلك قال الفرزدق مخاطباً خالداً القسري :

أخالد لولا الله لم تعط طاعة
إذن للقيتم عند شد وثاقه

ولولا بنو مروان لم يوثقوا نصرا
بني الحرب لا كشف اللقاء ولا ضجرا

انظر المبرد : الكامل ، ج ٢ ، ص ٣٢٧ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٣٦ .